2262
.142
.741
1893

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

مقاد بافك

د لله على

— اني بـ

في امرك فان

— هكذا

جريافي سفرك

نوازل الدهر الم

فقص ع

الحربيه وقد

مع الباشا الى

فقال س

واحوال لو سم

وذلك

فركضت الى

الباشا فسألت

للدخول وانتظ

فلما دخل

وصدقت نبو

فامتقع ل

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 016494500

Ibn Hajar al-Haythami

كتاب الخيرات الحسان في مناقب الامام الاعظم
أبي حنيفة النعمان للعلامة مفتي الحجاز
الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر
الهيتمي المكي المتوفى سنة
٩٧٣ رحمه الله تعالى
آمين

2262
.142
.741
1893

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اختص العلماء بوراثة الانبياء والتخلق باخلاقهم وجعلهم القدوة للكافة فى معاشهم ومعادهم وميز المجتهدين منهم بقيامهم بمصالحهم وايضاح الحق لهم فى مصادرهم وموارداهم و باضطرار الخلق اليهم فى قوام مابه حياة أرواحهم وأبدانهم فهم الملوك لا بل الملوك تحت أقدامهم وفى اسر رأيهم وأقلامهم وهم النجوم لا بل النجوم تستمد من أنوارهم وهم الشموس لا بل الشموس تستضىء من أضوائهم وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أترقى بها فى كمالات معارفهم وأشهد أن محمدا عبده و رسوله المذيع لمعالى مناقبهم وكمالهم والمفيض عليهم من سوابق التوفيق لاقتفاء آثاره فى سائر أحوالهم ماسبقوا به من سواهم الى الخلافة الكبرى عنه فى الهداية والامداد للخلق ببواطنهم وظواهرهم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين حازوا من قصب السبق فى مضمار الكمالات الصمدانية والمعارف المصطفوية ماصاروا به القدوة الكبرى والمحجة البيضاء لاوائل الخلق وأواخرهم صلاة وسلاما دائمين بدوام العلماء وظهور

سوددهم

سوددهم وما ثرهم ﴿ وبعد ﴾ فانه ورد علينا من منذ سنين بمكة المشرفة زادها الله تشريفا وتكريما وجلالة ومهابة وتعظيما رجل من فضلاء القسطنطينية وصلحائهم يجمعه بين العلوم النقلية والعقلية والقوانين الطبية والرسمية وعلوم الاخلاق والمواهب والاحوال والمطالب التي فاز بها القوم السالمون من الاعتراض واللوم ساداتنا الصوفيه وأئمتنا الطائفة الجنيديه فساجلناه وساجلناه مساجلة الاحبة الذين هم على سرر متقابلون ومن بحار المعارف يغترفون الى أن انجر الكلام الى الائمة الجامعين بين العلوم الرسمية والمعارف الوهبية المتحفين بدوام الشهود وهوامع الكرم والجود فقال ذلك الفاضل العالم الكامل أود منكم مختصرا جامعا ودستورا لطيفا مانعا يشتمل على تلخيص ما أطال به الائمة في مناقب الامام الاعظم والقدوة المقدم أبي حنيفة النعمان سقى الله مرقده شآبيب الرحمة والرضوان وأسكنه أعلى فراديس الجنان فبادرت الى امتثال أمره المحتم وبذلت الجهد في تلخيص تلك المناقب بانه مقصد أهم فجاء بحمد الله مختصرا لطيفا وأنموذجا شريفا فكتب منه نسخة وذهب به الى بلده أعظم بلاد الاسلام ومحط رحال العلماء الاعلام ومنبع الافاضل ومفزع الاماثل ثم كتبه الناس بعده واقتفوا أثره ومجده وتفرقوا به في البلدان ولم يبق عندي الا نسخة الاصل والله المستعان فاستعارها بعض الحنفية ليكتبها ويردها ثم سافر بها غير ملتفت الى عظيم وزر فقدها فتأثرت لذلك واعدت النظر فيما لائمة المناقب من المسالك الى ان ظفرت بكتاب جامع فيها لصاحبنا الشيخ العلامه الصالح الفهامه الثقة المطلع والحافظ المتبع الشيخ محمد الشامي الدمشقي ثم المصري فلخصت مقاصده ونقحت مصادره وموارده في هذا الكتاب البديع الجامع المحكم المنيع ﴿ وسميته ﴾ الخيرات الحسان في مناقب الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان رحمة الله عليه ورتبته على مقدمات ثلاث وأربعين فصلا

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
32101 016494500
0825 M
M31

المقدمة الاولى

اعلم ان بعض المتعصبين ممن لم يمنح توفيقا جاء نى بكتاب منسوب للامام الغزالى فيه من التعصب الفظيع والحط الشنيع على امام المسلمين وأوحد الائمة المجتهدين أبى حنيفة رحمه الله ما تصم عنه الآذن ويقول عند سماعه الموفق المنصف ليت ذلك ما كان كيف وقد أدى ذلك شمس الائمة الكردرى الى أن بسط الكلام فى رد ذلك الكتاب وقابل مؤلفه مقابلة الفاسد بالفاسد فشنع على الشافعى رحمه الله أعظم من ذلك التشنيع وبسط الكلام بما لا يحمد من الصنيع كل ذلك منه بناء على أن ذلك الغزالى هو الامام محمد حجة الاسلام وليس هو هو لما يأتى فى احيائه من مدح أبى حنيفة وترجمته بما يليق بعلى كماله وأيضا فلان النسخة التى رأيتها مكتوب عليها ان هذا الكتاب تصنيف محمود الغزالى ومحمود هذا ليس بحجة الاسلام ومن ثمة كتب على حاشية تلك النسخة هذا شخص معتزلى اسمه محمود الغزالى وليس هو حجة الاسلام قال بعض محققى الحنفية ممن أخذ العلم عن المولى سعد الدين التفتازانى ونفرض أن ذلك صدر عن الغزالى حجة الاسلام فهذا انما صدر عنه حين كان متلبسا بعلوم الجدل وحظوظ طلبة العلم وأما فى آخر أمره حين تخلى عن تلك الحظوظ وأفيضت عليه سجال المعارف والشهود فقد عرف الحق لاهله وأقره فى محله والدليل على ذلك كلامه فى الاحياء انتهى ولا بأس بذكر خلاصة كلامه فى الاحياء ليعلم نزاهة مؤلفه حجة الاسلام مما نسب اليه وقبل ذلك نقدم عليه مقدمة وهى ان بعض علماء الهند اختصر الاحياء اختصارا بليغا سماه عين العلم لم يسبق الى مثل اختصاره مع تعدد مختصريه فانه أشار الى مقاصده فى أوراق قليلة تكاد ان تكون من جوامع الكلم فلذا وضعت على كتابه شرحا له لانه لفرط ما فيه من الايجاز يكاد أن يعد من الالغاز وعبارة ذلك المختصر مع عبارة شرحى له وتمام العبارة سيأتى فى آخر الورقة الثانية والاولى أن يختار من الائمة الاربعة من ظن انه

أفضل الاربعة وأعلمهم لان نفسه حينئذ تنقاد الى قوله وتخضع لرأيه وتبادر
الى امتثاله والعمل به أكثر ثم كل من أبى حنيفة ومالك والشافعى رحمة الله
عليهم امتاز باقليم لا يعرف فيه غير اتباعه أو يكون اتباعه فيه اكثر كاقليم
الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعى
رحمه الله وكالغرب على سعته بالنسبة لمالك رحمه الله وكالروم والهند وما
وراء النهر بالنسبة لابى حنيفة رحمه الله ومن ثمة قال المصنف كابى حنيفة رحمه
الله عندنا معشر الحنفية فقد ورد من طرق أى يأتى الكلام عليها مبسوطا
قريبا * أبو حنيفة سراج أمتى وفضله رحمه الله وما اشتهر عنه من العبادة
والورع والزهد والسخاء ودقة النظر وحدة الفكر يغنى عن أن يستدل
لفضله بما أطبق المحدثون على وضعه وسمع فى المنام البارى تعالى يقول أنا
عند علم أبى حنيفة أى بالحفظ والقبول والرضا وانزال البركة فيه وفى
الآخذين به وسلم المخالفون سبقه فى الفقه ومن ثمة قال الشافعى رحمه الله
الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة وقال أيضا من أراد أن يعرف الفقه
فليلزم أبا حنيفة وأصحابه وقال أيضا قلت لمالك كيف رأيت أبا حنيفة
فقال رأيت رجلا لو كلمك فى السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته ولما دخل
الشافعى بغداد زار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه فى التكبير وفى رواية
أن الركعتين كانتا صلاة الصبح وانه لم يقنت فقيل له فى ذلك فقال أدبا مع هذا
الامام ان أظهر خلافه بحضرته وقال الفضيل بن عياض وناهيك به جلالة
كان أبو حنيفة معروفا بالفقه مشهورا بالورع ومن عظيم ورعه ما قال الامام
عبد الله بن المبارك انه أراد شراء أمة فمكث عشرين سنة يستخبر ويشاور
من أى سبى يشترى وقال النضر بن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى
أيقظهم أبو حنيفة ودخل على أمير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى
العابد الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدنيا فقال له المنصور عمن أخذت
العلم قال عن أصحاب عمر عن عمر وعن أصحاب على عن على وعن أصحاب ابن

مسعود عن ابن مسعود فقال له المنصور لقد استوثقت ومع ذلك أراد هلاكه
فى وقائع جرت له معه وراوده على أن يلى القضاء فلم يقبل فضرب مائة سوط
وحبس الى أن مات فى الحبس على قول وضرب أيضا عشرين سوطا على أن
يلى أمر بيت المال فابى أن يقبل وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين أو عن أصحابه أخذنا ببعض أقوالهم ولم
نخرج عنها أو عن التابعين زاحمناهم وكان يقوم كل الليل بعد ان كان يحيى
نصفه فاشار اليه انسان وهو يمشى فقال هذا هو الذى يحيى كل الليل فلم يزل
بعده يحيى كل الليل وقال أنا أستحى من الله ان أوصف بعبادة ليست فى وقال
بعضهم ما رأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة من أبى حنيفة انما
كان كل الليل والنهار فى طلب الآخرة وسمع هاتفا فى المنام وهو فى الكعبة
يقول ان يا أبا حنيفة أخلصت خدمتى وأحسنت معرفتى فقد غفرت لك أى
لما كنت عليه من اخلاص الخدمة باحياء كل الليل وصيام اكثر الدهر وبذل
الجهد فى نشر العلم على الوجه الاكمل واحسان المعرفة باتقان العلوم الظاهرة
والباطنة والاخلاص فيها ورفض الدنيا والاعراض عنها رأسا والاقبال على
الآخرة وبذل الوسع فى تحصيل أسبابها ومن هذه صفاته أقرب الى رجاء
المغفرة له على وجه مخصوص لا يبقى له ذرة تقصير ولمن اتبعك ببركة اخلاصك
واحسانك المذكورين الى قيام الساعة وفى هذا من البشرى له ولاتباعه
ما يحمل الموفق منهم على بذل طاقته فى اقتفاء آثاره امامه فيما كان عليه من
تلك الاخلاق العليه والصفات الطاهرة الزكيه التى قل أن تجتمع الا
للعارفين والائمة المجتهدين وتلمذ له كبار من المشايخ الائمة المجتهدين والعلماء
الراسخين كالامام الجليل المجمع على جلالته وبراعته وتقدمه وزهده عبد الله
ابن المبارك وكالامام الليث بن سعد وكالامام مالك بن أنس وناهيك بهؤلاء
الائمة وكالامام مسعر بن كدام وزفر وأبى يوسف ومحمد وغيرهم وتحمل لتقلد
القضاء أى لاجل أن يتولاه وكذا مفاتيح خزائن بيت المال ما تحمل من

العقوبة والضرب الشديد لما أبى عن ذلك ايثارا لعذاب الدنيا على عذاب
الآخرة ومن ثمة لما ذكر عند عبد الله بن المبارك قال أتذكرون رجلا
عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وما خالط الظلمة مع سؤالهم له فى ذلك
والحاحهم عليه وتهديده ان لم يفعل وما قبل منهم شيأ قط وان قل ومن ثمة
لما أرسل اليه أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن
القحطبة ولم يمكنه ردها أوصى ابنه حمادا انه اذا مات ودفن يردها للحسن
ففعل فقال له رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحا على دينه وما اشتغل بالدعوة
أى بدعوة الناس الى مذهبه الا بالاشارة النبوية فى المنام اليه ليدعوهم الى
مذهبه بعد ما قصد الانزواء والاستخفاء عنهم تواضعا واحتقارا لنفسه عن ان
يجعل لها حظا أو يرى منها أو لها فعلا حسنا يستحق أن يجعل دعاية الناس الى
الاقتداء والعمل به فلما جاءه الاذن ممن فوضت اليه قسمة خزائن الله تعالى
على مستحقيها علم أن ذلك أمر حتم لا بد منه فدعا الناس اليه حتى ظهر مذهبه
وانتشر وكثرت أتباعه وخذلت حساده ونفع الله به شرقا وغربا وعجما وعربا
ورزق حظا وافرا فى اتباعه فقاموا بتحرير أصول مذهبه وفروعه وأمعنوا
النظر فى منقوله ومعقوله حتى صار بحمد الله محكم القواعد معدن الفوائد
ويؤيد ذلك ما حكاه بعض أصحاب المناقب أن ثابتا والده أتى به وهو صغير لعلى
كرم الله وجهه فدعاله بالبركة ولذريته فكان ما أوتيه أبو حنيفة من بركة
تلك الدعوة وما استظل بحائط المديون حين أتاه متقاضيا تورعا منه عن أن
يرتفق بشئ من آثار هدية واعلاما للدين انه لا يرغب فى رفق منه فان قبوله
منه وان قل بطريق الشرع ينافى كمال المروءة والورع ومحاسن الاخلاق
وكان له رحمه الله من ذلك ومن تجنب الشبهة ما أمكنه الحظ الوافر ومن ثمة
تصدق بجمع مال أتى به وكيله اليه لما خلط به ثمن ثوب معيب بيع حال كونه
مخفيا عيبه من بائعه فهو وان لم يكن عليه اثم لجهله لكن فيه شبهة ما وانما لم
يرد ثمنه لمشتريه ويسترده كانه للجهل بالمشترى مع اليأس من العلم به فتصدق به

لما يأتى مبسوطا فى باب التوبة قيل وكان المال ثلاثين ألفا ووقع له نظائر لذلك متعددة كما فى كتب المناقب ومن عظيم ورعه وزهده ما مر من قصة الجارية التى أراد أن يشتريها ومن ذلك أيضا انه ترك لحم الغنم لما فقدت شاة فى الكوفة الى أن علم موتها لانه سأل عن أكثر ما تعيش فقيل له سبع سنين فترك أكل لحمها سبع سنين تورعا منه لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام فيصادف أكل شئ منها فيظلم قلبه اذ هذا هو شأن أكل الحرام وان انتفى الاثم للجهل بعين الحرام ولاجل ذلك فاز أهل الورع بما سبقوا به غيرهم من نور القلوب وتأهلهم لشهود المحبوب وقيامهم فى خدمته بحسب طاقتهم واعراضهم عن القواطع عنه طوق مقدرتهم وليس ما ذكر من مناقب هذا الامام يراد به حصر مناقبه فيه بل هو قطرة من بحر لا ساحل له ومن غررها انه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة فقيل له ما الذى قواك على هذا قال انى دعوت الله باسمائه على حروف المعجم وهى مجموعة فى كل من آيتين الاولى محمد رسول الله الى آخر سورة الفتح والثانية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية فى سورة آل عمران وانه كان يختم فى رمضان ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار الى غير ذلك من مناقب أخر له يعسر تعدادها فرحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه انتهى كلام مختصر الاحياء مع شرحى له وبه يعلم براءة الامام الغزالى حجة الاسلام مما نسب اليه من التعصب حاشاه الله منه

المقدمة الثانية

فى بيان أمور يعم نفعها ويقبح بالطالب جهلها اذ به يقع فى ورطة عظيمة ومهواة قبيحة غير مستقيمة فتعين ايرادها أولا وايضاح ما له بها تعلق مجملا ومفصلا منها عليك أيها الموفق ان أردت النجاة فى الآخرة والسلامة من خطر الوقيعة فى أحد من أولياء الله تعالى ووراث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ان تعتقد أن كل واحد من الائمة المجتهدين والعلماء العاملين على

هدى من الله و رضوان وانهم كلهم مأجورون فى سائر الحالات باتفاق أئمة
النقل والبرهان وقد روى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال مهما أوتيتم
من كتاب الله فالعمل به فلا عذر لاحد فى تركه فان لم يكن فى كتاب الله فسنة
ماضية منى فان لم تكن سنة منى فما قال أصحابى ان أصحابى بمنزلة النجوم فى
السماء فايما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابى لكم رحمة ففيه اخباره
صلى الله عليه وسلم باختلاف المذاهب بعده فى الفروع من منذ زمن أصحابه
الذى هو زمان الهدى والارشاد المشهود له من مشرفهم بانه خير القرون على
الاطلاق و يلزم من اختلافهم اختلاف من بعدهم لان كل صحابى مشهور
بالفقه والرواية أخذ بقوله ومذهبه جماعة ومع ذلك رضى به صلى الله عليه
وسلم وأقرهم عليه ومدحهم حتى جعل نفس ذلك الاختلاف رحمة للامة
وخيرهم فى الاخذ بقول من شاؤا من أصحابه اللازم له الاخذ بقول من
أرادوا من المجتهدين بعدهم الجارين على منوالهم والسالكين لمسالكهم فى
أقوالهم وأفعالهم وقد أقر صلى الله عليه وسلم اختلاف أصحابه فى وقائع جرت
لهم فى زمنه ولم يعترض أحدا فيما قاله ورآه مخالفا لما قاله نظيره ورآه كما يشهد
بذلك وقائع كثيرة شهيرة من ذلك قصة اختلافهم فى أسرى بدر فابو بكر ومن
تبعه أشاروا باخذ الفداء منهم وعمر ومن تبعه أشاروا بقتلهم فحكم صلى الله
عليه وسلم بالاول ونزل القرآن بتفضيل الرأى الثانى مع تقرير الرأى الاول
ففيه أوضح دليل على تصويب الرأيين وان كلا من المجتهدين مصيب ولو كان
الرأى الاول خطأ لم يحكم به صلى الله عليه وسلم وقد أخبر تعالى بانه عين حكمه
بقوله لولا كتاب من الله سبق وطيب الفداء بقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا وانما وقع العتب على اختيار غير الافضل ومن ثمة كان أكثر ما يقع
الترجيح فى المذاهب بالنظر الى الافضل من حيث قوة الادلة والقرب من
الاحتياط والورع وذلك فى مسائل معدودة لا من حيث مجموع المذهب وأما
بالنظر الى التصويب فكله صواب وحق لا شبهة فيه ومن هذا كانت طريقة

الصوفية أعدل الطرق وأفضلها وهى الاخذ بالاشد والاحوط فى كل مسئلة
بحيث يخرجون من جميع الاقاويل ويأتون بعبادة مجمع على صحتها ويوافق
ذلك قول أئمتنا يسن الخروج من كل خلاف لم يضعف مدركه ولم يخالف
سنة صحيحة أى مخالفة صريحة لايمكن تأويلها وقد صرحوا بانه يسن الوضوء
من كل ماقيل فيه انه ناقض وكان ابن شريح يغسل اذنيه مع وجهه ويمسحهما
مع رأسه ويمسحهما منفردتين احتياطا فى الكل وخروجا من الخلاف ومن
ذلك أيضا قصة اختلافهم فى قوله صلى الله عليه وسلم حين أراد غزو بنى قريظة
لايصلين احد الظهر الا فى بنى قريظة فانهم لما خرجوا من المدينة اليهم
وقد ضاق وقت الظهر اختلفوا فصلى جماعة منهم الظهر خشية خروج وقتها
واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك تحريضا على الاستعجال ولم يرد
اخراج الصلاة عن وقتها فاستنبطوا من النص معنى بينوا به ان الحصر فى قوله
الا فى بنى قريظة اضافى لاحقيقى وامتنع آخرون عن صلاة الظهر الى ان وصلوا
بنى قريظة بعد دخول وقت العصر واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم أطلق
الحصر ولم يبينه فكان المراد به حقيقته ثم بلغه اختلافهم وفعلهم فلم ينكر على
أحد من الفريقين وأقر كلا على مافهمه اشارة الى ان الكل مجتهدون
مأجورون على هدى من الله تعالى فلا لوم على أحد منهم ولا ينسب اليه خلل
ولا تقصير لاسيما مع استحضارك لقوله صلى الله عليه وسلم فايما أخذتم به
اهتديتم فجعل الكل مهتدين فكيف مع ذلك ينسب لاحد منهم خطأ أو تقصير
وأخرج ابن سعد والبيهقى عن أبى بكر رضى الله عنه انه قال كان اختلاف
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للناس وأخرج ابن سعد عن عمر بن عبد
العزيز رضى الله عنه انه قال مايسرنى باختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم حمر النعم رواه البيهقى بلفظ مايسرنى ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة ولما أراد هرون الرشيد ان يعلق
موطأ مالك فى الكعبة ويحمل الناس على مافيه قال له مالك لاتفعل ياأمير

المؤمنين فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى الفروع
وتفرقوا فى البلدان وان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الامة كل
يتبع ماصح عنده وكل مصيب وكل على هدى فقال له هرون وفقك الله يا أبا
عبد الله ووقع له ذلك مع المنصور أيضا لما أراد أن يرسل الى كل مصر نسخة
من كتب مالك ويأمرهم ان يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره فقال له مالك
لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث وروو
روايات وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا بها من اختلاف الناس فدع الناس
وما اختار أهل كل بلد منهم لانفسهم وبما تقرر يظهر اتجاه القول بان كل مجتهد
مصيب وان حكم الله تعالى فى كل واقعة تابع لظن المجتهد وهو أحد القولين
للائمة الاربعة ونسب ترجيحه لاكثر الشافعية والحنفية والباقلانى ولا ينافيه
الخبر الصحيح المصرح بان للمصيب أجرين وللمخطئ أجرا لانه محمول كما قال
الحافظ الجلال السيوطى على ان المخطئ من المجتهدين انما أخطأ فى عدم
ادراكه الافضل والاولى كما عتب على الصحابة فى اختيار الفداء لانه غير
الافضل مع انه حكم صواب وقد قال الفقهاء فيمن صلى رباعية الى أربع
جهات كل ركعة الى جهة بالاجتهاد لا قضاء عليه مع القطع بان ثلاث ركعات
منها الى غير القبلة واختلف اجتهاد عمر رضى الله عنه فى الحديقضى فيه
بقضايا مختلفة وكان يقول ذلك على ماقضينا وهذا على ماقضى وأخرج
البيهقى مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقضى القضاء وينزل
القرآن بغير ماقضى فيستقبل حكم القرآن ولا يرد قضاءه الاول انتهى وفيما
قاله واستدل به نظر واضح لاسيما ماذكره آخرا اذا جتهاده صلى الله عليه وسلم
معصوم من الخطأ على الصواب بخلاف اجتهاد غيره ونقل الكردرى عن
الشافعى رحمه الله ان المجتهدين القائلين بحكمين متباينين بمنزلة رسولين جاآ
بشريعتين مختلفتين وكلاهما حق وصدق وقال الامام المازرى القول بان
الحق فى طرفين هو ماعليه أكثر أهل التحقيق من العلماء والمتكلمين وهو

مروى عن الائمة الاربعة واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم جعل له أجرا ولو لم يصب
لم يؤجر وأجابوا عن اطلاق الخطأ فى الخبر بانه محمول على من ذهل عن النص
واجتهد فيما لا يسوغ الاجتهاد فيه من القطعيات مما خالف الاجماع فان مثل
هذا اذا اتفق الخطأ فيه هو الذى يصح اطلاق الخطأ فيه وأما من اجتهد فى
مسئلة ليس فيها نص أى قاطع ولا اجماع فلا يطلق عليه الخطأ وأطال الامام
المازرى فى تقرير ذلك وفى الشفاء لعياض القول بتصويب المجتهدين هو
الحق والصواب عندنا وقد قال صاحب جمع الجوامع والمتكلمون عليه
ونعتقد ان أبا حنيفة ومالكا والشافعى وأحمد والسفيانين والاوزاعى وابن
جرير وسائر أئمة المسلمين على هدى من الله تعالى ولا التفات الى من تكلم فيهم
بما هم بريئون منه فقد أوتوا من العلوم اللدنية والمواهب الالهية
والاستنباطات الدقيقة والمعارف الغزيرة والدين والورع والعبادة والزهادة
والجلالة بالمحل الذى لا يسامى انتهى ورأى بعض الائمة النبى صلى الله عليه
وسلم وسأله عن اختلاف المجتهدين فقال كل فى اجتهاده مصيب فذكر له
الرائى قول أبى حنيفة المجتهدان مصيبان والحق فى واحد وقول الشافعى
المجتهد ان مصيب ومخطئ معفو عنه فقال صلى الله عليه وسلم هما قريبان فى
المعنى وان كانا مختلفين فى اللفظ فقلت أيهما أولى بالاخذ من الفريقين فقال
صلى الله عليه وسلم كلاهما على الحق ومنها عليك أيضا أن تعتقد أن
اختلاف أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة فى الفروع نعمة كبيرة ورحمة
واسعة وفضيلة واضحة وله سر لطيف أدركه العلماء العاملون وعمى عنه
الجاهلون حتى قال بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم جاء بشرع واحد فمن
أين مذاهب أربعة ووجه ذلك أن الله تعالى خص هذه الشريعة برفعه عن
أهلها الآصار والاثقال التى كانت على الامم قبلها كتحتم القصاص فى شريعة
موسى عليه السلام لانه أرسل بالحلال الصرف وتحتم الدية فى شريعة عيسى
عليه السلام والتخيير بينهما فى شريعتنا وكقرض محل النجاسة من البدن

فى شرعهم وغسلها بالماء فى شرعنا وكامتناع النسخ فى شريعة اليهود
وجوازه فى شرعنا ومن ثمة استعظموا نسخ القبلة وكتبهم فانها لا تقرأ
الا على حرف واحد وكتابنا يقرأ على حروف سبعة بل عشرة كل ذلك لقوله
تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله عز قائلا وما جعل عليكم
فى الدين من حرج وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة فمن
سماحتها ويسرها ورفع الاصار عنها وقوع اختلاف أئمتنا فى الفروع لكون
المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة حتى لا يضيق الامر عليهم بالتزام
شئ واحد وحتى يثاب كل عامل بمذهب صحيح ويمدح عليه وحتى ان من رأى
له فسحة فى غير مذهبه جاز له بشرطه الانتقال اليه والعمل به وكل هذه نعم
عظيمة الموقع واسعة الرفق لا سيما وهى مؤذنة بغاية رفعته صلى الله عليه وسلم
وتميزه على بقية الانبياء بالتوسعة لاجله على أمته بتخييرهم فى الامر الواحد
بالعمل بكل ما فيه سهولة لهم لتصويب كل مجتهد منهم ومدحه وان فرض
خطؤه وقد قرر السبكى ان جميع الشرائع السابقة شرائع له صلى الله عليه وسلم
والانبياء صلوات الله عليهم كالنواب عنه لانه نبى وآدم بين الروح والجسد
فهو اذ ذاك نبى الانبياء وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه بعثت الى الناس
كافة فهو مبعوث الى الخلق كلهم من لدن آدم الى قيام الساعة انتهى واذا تقرر
ان شرائع الانبياء شرائع له زيادة فى تعظيمه فالشرائع التى استنبطها أصحابه
وتابعوهم باحسان من أقواله وأفعاله على تنوعها شرائع متعددة له من
باب أولى خصوصا وقد أخبر بوقوعها ووعد بالهداية على الاخذ بها ورضى بها
ومدحنا عليها وجعل ذلك رحمة أى رحمة ومنة أى منة كما مر بيان ذلك ومن
ثمة لما جعل اختلاف هذه الامة رحمة أخبر بان اختلاف الامم السابقة هلاك
وعذاب أى لانهم لم يوسع لهم كما وسع لهذه الامة فكان اختلافهم محض كذب
وتقول على أنبيائهم بما هم بريئون منه ومنها يتأكد عليك غاية التأكد
الذى لا رخصة فيه ان لا تفضل بعض المذاهب على بعض تفضيلا يؤدى الى

تنقيص المفضل عليه فان ذلك يؤدى الى المقت والخزى فى الدنيا والآخرة وسيأتى عن الله تعالى انه قال من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب وعلماء المسلمين العاملون كلهم أولياء الله تعالى من غير شك ولا ريب وكثيرا ما يؤدى التفضيل الى الخصام القبيح بين السفهاء ومن لا خلاق لهم ولا دين ولا تقوى الى ان يظهر من بعضهم قبيح العصبية وحمية الجاهلية و يفضى ذلك بهم الى ترجيح مذهب امامه واطلاق لسانه فى غيره بعدم أدب وغفلة تامة عما يترتب بسبب ذلك من المقت والخزى والى ان ينتصر بعض ملقدى مخالفه لامامه فيرد على الاول ويطلق لسانه فيه و يتعدى الى امامه ويطلق لسانه فيه زاعما ان ذلك من باب مقابلة الفاسد بالفاسد ولو عرض كلام كل منهما على امامه لزجره عنه وتبرأ منه وهجره لاجله ولوقوعه بقبيح ما ارتكبه فى شرك المقت والردى اذ بما أيس من موته على الهدى وقد أخبر ابن عباس رضى الله عنهما بان سبب هلاك الامم السابقة مراؤهم وخصوماتهم فى دين الله حفظنا الله من وعيره هذه المسالك وحشرنا فى زمرة أولئك الائمة فاننا نحبهم ونعظمهم بما نرجو به ان نحشر معهم على الارائك اذ من أحب قوما حشر معهم كما أخبر به مورثهم ومشرفهم وكفى من انتقص أحدا منهم أن يحرم هذه المرافقة فى ذلك المجمع الاكبر وان ينادى عليه فيه هذا عدو أولياء الله فليس له الا الخزى والعذاب فى المحشر

المقدمة الثالثة فيما ورد من تبشير النبى صلى الله عليه وسلم بالامام أبى حنيفة رحمه الله

اعلم ان أعظم ذلك وأجله وأوضحه وأكمله ما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة وأبو نعيم عنه والشيرازى والطبرانى عن قيس بن سعد بن عبادة والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثرايا لتناوله رجال من أبناء فارس ولفظ الشيرازى وأبى نعيم لو كان العلم معلقا عند الثرايا ولفظ الطبرانى عن قيس لا تناله العرب لناله

رجال من أبناء فارس ولفظ مسلم لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من
ابناء فارس قال الحافظ المحقق الجلال السيوطى هذا أصل صحيح يعتمد عليه
فى البشارة بابى حنيفة رحمه الله وفى الفضيلة التامة له نظير الحديث الذى فى
مالك رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يضرب الناس اكباد
الابل يطلبون العلم فلا يجدون اعلم من عالم المدينة والحديث الذى فى
الشافعى رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ
الارض علما وهو حديث حسن له طرق كثيرة وزعم بعضهم وضعه وزيفوه
وشنعوا على زاعمه ومخترعه قال العلماء عالم المدينة فى الحديث الاول مالك وعالم
قريش فى الحديث الثانى الشافعى قال بعض تلامذة الجلال وما جزم به شيخنا
من أن الامام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لا شك فيه لانه لم يبلغ
أحدا فى زمنه من أبناء فارس فى العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه وفيه معجزة
ظاهرة للنبى صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بما سيقع وليس المراد بفارس البلد
المعروف بل جنس من العجم وهم الفرس وسيأتى ان جد الامام أبى حنيفة
منهم على ما عليه الاكثرون وفى خبر عن الديلمى خير العجم فارس قال الجلال
وبهذا الخبر أى المتفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع المروى فى حق
أبى حنيفة رحمه الله قال تلميذه المذكور وأشار شيخنا بهذا الى رد ما ذكره بعض
أصحاب المناقب ممن ليس له دراية بعلم الحديث فان فى سنده كذابين وضاعين
ولفظ خبرهما يكون فى أمتى رجل يقال له أبو حنيفة النعمان هو سراج أمتى
الى يوم القيامة وفى لفظ يكون فى أمتى رجل اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة
هو سراج أمتى هو سراج أمتى وفى لفظ سيأتى من بعدى رجل يقال له
النعمان بن ثابت ويكنى أبا حنيفة يحيى دين الله تعالى وسنتى على يديه وفى
لفظ فى كل قرن من أمتى سابقون وأبو حنيفة سابق هذه الامة وفى لفظ عن
ابن عباس رضى الله عنهما يطلع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر على
جميع خراسان يكنى بأبى حنيفة وفى لفظ آخر عنه ان الرأى الحسن وانه يكون

بعد نار أى حنيف يجرى به الاحكام مابقى الاسلام وانه كرأينا واحكامنا
يقوم به رجل يقال له النعمان بن ثابت الكوفى ويكنى بابى حنيفة وهو من
أهل الكوفة جهيد فى العلم والفقه يصرف الاحكام على وجهها حنيفى الدين
والرأى الحسن وفى لفظ عن ابن سيرين انه لما قوص عليه منامه الآتى قال له
اكشف عن ظهرك ويسارك فكشف فرأى بين كتفيه أوعضد يساره خالا
فقال صدقت أنت أبو حنيفة الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه
يخرج من أمتى رجل يقال له أبو حنيفة بين كتفيه وفى رواية على يساره خال
يحيي دين الله تعالى وسنتى على يديه وهذه كلها موضوعات لاتروج على من له
أدنى المام بنقد الحديث وقد أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات وأقره
الذهبى وشيخنا الحافظ الجلال السيوطى فى مختصريهما والحافظ أبو الفضل
شيخ الاسلام ابن حجر فى لسان الميزان وتبعهم الامام الحافظ الذى انتهت اليه
رياسة مذهب أبى حنيفة فى زمنه الشيخ قاسم الحنفى ومن ثمة لم يورد شيأ منها
أئمة الحديث الذين صنفوا فى مناقبه كالطحاوى وصاحب طبقات الحنفية
محيي الدين القرشى وآخرين كلهم حنفيون ثقات اثبات نقادلهم اطلاع كثير
انتهى حاصل كلام تلميذه الجلال رحمهما الله تعالى ومن اطلع على مايأتى فى
هذا الكتاب من أحوال الامام أبى حنيفة وكراماته واخلاقه وسيرته علم انه
غنى عن ان يستشهد على فضله بخبر موضوع أولفظ موضوع لاسيما مع
ماتقرر من حديث البخارى ومسلم وغيرهما المحمول على أبى حنيفة كنظرائه
من العجم وكمن هو أعلى منه وأجل كسلمان الفارسى رحمه الله ومما يصلح
للاستدلال به على عظم شأن أبى حنيفة رحمه الله ماروى عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال شمس الائمة
الكردرى بفتح الكاف ان هذا الحديث محمول على أبى حنيفة لانه مات تلك
السنة رحمة الله عليه

الفصل الاول فى بيان الاسباب الحاملة على تأليف هذا الكتاب الاول

ماجاء عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم بسند حسن
بل ذكره مسلم فى مقدمة صحيحه وابن خزيمة فى صحيحه قالت أمرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم وفى رواية للخرائطى أنزل
الناس منازلهم فى الخير والشر وفى أخرى أنزلوا الناس منازلهم ورأوا الناس
بعقولكم وجاء عن على كرم الله وجهه من أنزل الناس منازلهم رفع المؤنة
عن نفسه * الثانى انه وقع فى تاريخ الخطيب ومنتظم أبى الفرج بن الجوزى
ذكر أشياء تنافى كمال أبى حنيفة رحمه الله على ان الخطيب ذكر من فضائله
بعد ذلك باسانيده المشهورة مايبهر العقل ذكره بل كل من جاء بعده انما
يستمد فى ترجمة الامام منه وكذلك وقع فى المنخول المنسوب للامام الغزالى
حجة الاسلام ذكر أشياء من ذلك وانما قلنا المنسوب لانه لم يصح نسبة جميع
مافى هذا الكتاب اليه فيحتمل أن تكون تلك الالفاظ الشنيعة اختلفت
عليه بدليل انه مدحه فى كتاب احياء علوم الدين المتواتر عنه بما يليق بكمال
أبى حنيفة رحمه الله وأجاب بعض المحققين من الحنفية كما مر بانه بتقدير
صدورهذا من الغزالى فهو فى حال ابتداء أمره حين كان على شأن الفقهاء
المتعصبين فلما توقى عن ذلك وطهر أخلاقه ووصل الى ماوصل اليه من
الكمالات رجع عن ذلك وذكر الحق فى كتاب الاحياء كما يدل لذلك قوله فيما
حدث من الخلافيات والمجادلات فيها والتحريرات والتصنيفات فاياك وان
تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذى رد
الفقهاء كلهم لطلب المنافسة والمباهاة على ماسيأتيك تفصيل غوائلها
وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ماجهلوا ولا
تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت واقبل هذه النصيحة ممن ضيع عمره فيه زمانا
وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله تعالى رشده
وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه انتهى وكذلك وقع كما مر بسط
الكلام فيه من بعض المتعصبين ممن يسمى بالغزالى حتى ظن انه الامام حجة

الاسلام وليس كذلك وانما هو شخص آخر مجهول له تأليف مستقل فى الحط الشنيع على أبى حنيفة رحمه الله مع نزاهته وبراءته عما نسب اليه فيه على انه غير بعيد ان بعض الزنادقة والمحرومين من الخير اختلق ذلك ونسبه الى ذلك الامام الكبير والعلم الشهير الذى هو حجة الاسلام ليروج على الناس ما افتراه فكان بسبب ذلك ممن أضله الله وأعماه فحينئذ تعين على كل من قدر على تزييف ما فى الكتب وتسفيهه أن يبطل جميع ما فيها وأن يكذب واضعيها ومختلقها بما أطبق عليه العلماء المعتبرون والائمة المجتهدون من تعظيم ذلك الامام الاعظم والحبر المقدم امتثالا للاحاديث السابقة واللاحقة * الثالث تبيين خطا المتعصبين فى قولهم ما تكلمنا فى أبى حنيفة وغيره الالان ذلك متعين علمه علينا لتباين أحوال الرجال وتمايز أوصافهم التى عليها مدار الرواية والنقد والكمال وكلامهم هذا من منوال كلام الخوارج الذى قال فيه على كرم الله وجهه لما احتجوا عليه به كلمة حق أريد بها باطل فكذلك كلام أولئك كلام حق فى نفسه لكن أريد به باطل وأى باطل اذ لم يعتمدوا فى ذلك الا على كلمات صدرت من بعض معاصريه فى حقه حسدا له على ما آتاه الله تعالى من فضله أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وكذا صدر من بعض من جاء بعده كلمات نسبوها اليه لا تصدر ممن له أدنى كمال بل دين وليس قصدهم الا شينه واخمال ذكره ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون وكفاهم فى زجرهم ونكالهم ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم بسند جيد أيما رجل أشاع على رجل بكلمة وهو منها برىء يشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله تعالى أن يحبسه فى جهنم حتى يأتى بنفاذ ما قال وفى رواية صحيحة من قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله تعالى ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج وردغة الخبال بفتح فسكون الدال المهملة ففجمة فخاء معجمة مفتوحة فموحدة عصارة أهل النار كما فى حديث مرفوع * الرابع تبيين أنه رحمه الله كسائر أئمة الاسلام ممن صدق عليهم

قوله

قوله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ووجه ذلك الصدق أن كلا من أولئك الائمة المجتهدين والعلماء العاملين صحت عنه كمالات باهرة للعقول وأحوال وكرامات لا ينكرها الا المعاند الجهول فهم الاولياء على الحقيقة والجامعون بين الحقيقة والشريعة واذ قد تمهد ذلك فنتقص أحد منهم ممن حقت عليه كلمة الطرد والمقت كيف وهو قد أدخل نفسه فيما لا طاقة له به من محاربة الله تعالى ورسوله ومن حارب الله هلك هلاكا أبديا نعوذ بالله من ذلك والدليل على هذا ما رواه الائمة البخارى وغيره من طرق كثيرة تزيد على خمسة عشر طريقا عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى قال من عادى أو أذل أو آذى أو أهان روايات لى وليا وفى رواية ولى المؤمنين فقد آذنته أى أعلمته بالحرب وفى رواية فقد استحل محاربتى وفى أخرى فقد بارزنى بالمحاربة وقوله لى ظرف لغو ويجوز أن يكون مستقرا لانه حال قدمت على صاحبها التنكيره والمحاربة فيه من باب يخادعون الله وعاقبت اللص وحكمة ايثاره المخاطبة بما يفهم اذ الحرب ينشأ عن العداوة الناشئة عن المخالفة وغايتها اللازمة لها الهلاك أى من كره من أحببته عادانى وعاند نى ومن عاندنى فقد تعرض لاهلاكى اياه أشد الهلاك وأفظعه فاطلق الحرب وأريد لازمها واذ قد علمت هذا علمت أن فيه من الوعيد الشديد والزجر الاكيد والمنع البليغ ما يحمل من له أدنى مسكة من عقل فضلا عن دين على أن يتجنب الخوض فى شئ مما ينتقص به أحدا من أئمة الاسلام ومصابيح الظلام وأن يبالغ فى البعد عن ايذائهم بوجه من الوجوه فانه يؤذى الاموات ما يؤذى الاحياء وكيف يسع أحدا أن يقدم على شئ من ذلك والله تعالى يقول انى لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث للجرو وفى رواية عند الامام أحمد رحمه الله عن وهب بن منبه قال قال الله عز وجل لموسى عليه السلام حين كلمه

ربه جل وعلا اعلم أن من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وناوانى وعرض نفسه ودعانى اليها وأنا أسرع شئ الى نصرة أوليائى أفيظن الذى يحاربنى أن يقاومنى أو يظن الذى يبارزنى أن يعجزنى أو يسبقنى أو يفوتنى كيف وأنا ثائر لهم فى الدنيا والآخرة فلا أكل نصرتهم الى غيرى فتأمل ثم تأمل واحذر أن تخوض غمرة هذه اللجة المهلكة فان الله تعالى لا يبالى بك فى أى واد هلكت ومن ثمة قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى كتابه تبيين كذب المفترى فيما نسب للامام أبى الحسن الاشعرى لحوم العلماء مسمومه وهتك أستار منتقصيهم معلومه وقال أيضا لحوم العلماء سم من شمها مرض ومن ذاقها مات قال وقد جمع العلماء فضائلهم واعتنوا بسيرهم وأخبارهم فمن قرأ فضائل أبى حنيفة ومالك والشافعى رحمهم الله بعد فضائل الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين واعتنى بها ووقف على كريم سيرهم وهديهم كان ذلك له عملا زاكيا نفعنا الله تعالى بحب جميعهم ومن لم يحفظ من أخبارهم الا ما يذكر من قول بعضهم فى بعض على الحسد والهفوات والغضب حرم التوفيق ودخل فى الغيبة وحاد عن الطريق جعلنا الله واياك ممن يستمع القول فيتبع أحسنه آمين * الخامس ان أئمة حفاظا ترجموا هذا الامام وأطالوا فى ترجمته قديما وحديثا فقصدت أن أنتظم فى سلكهم لتعود على بركة هذا الامام كما عادت عليهم وقد روى ابن الجوزى عن سفيان بن عيينة انه قال عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة وان ألخص جميع ما ذكروه باوجز عبارة وأبلغ اشارة معرضا عن ذكر الاسانيد معولا على ما بسطوه منها فى كتبهم مما يزيل الشك والترديد لاعراض الناس عن المطولات راكبا بهم على المختصرات لما ان الهمم قد تقاصرت والاغراض الفاسدة المنافية للدأب فى العلوم قد تكاثرت فلا ترى الا ولها نا أمسك أشعة القمر يحسبها قضبان الذهب أو غريقا فى بحر شهواته التى أشغلته عن التطلع الى أدنى كمال أو أدب

*(الفصل

(الفصل الثانى فى ذكر نسبه) اختلفوا فيه فقال أكثرهم وصححه المحققون
انه من العجم وعليه ما أخرج الخطيب عن عمر بن حماد ولده انه ابن ثابت بن
زوطى أى بضم الزاى كموسى وبفتحها كسلمى ابن ماه من أهل كابل أى بضم
الموحدة بلدة من اقليم بناحية الهند ملكه بنو تيم الله بن ثعلبه فاسلم فاعتقوه
وولد ثابت على الاسلام وقيل من أهل الانبار بفتح الهمزة ثم انتقل لنسا
بفتح أوليه وبالقصر فولد له بها أبو حنيفة فلما ترعرع انتقل به وقيل من أهل
ترمذ ولا مانع انه نزل هذه البلاد الاربعة فنقل كل ما حفظه وترمذ بتثليث
أوله وضم الميم وكسرها وبالذال المعجمة مدينة على طرف جيحون وأخرج
أيضا عن اسمعيل بن حماد أخى عمر المذكور انه قال ان ثابت بن النعمان
ابن المرزبان أى بفتح فسكون فضم الزاى وقد يفتح معرب الرئيس من أبناء
فارس الاحرار ووالله ما وقع لنا رق قط ذهب ثابت الى الامام على بن أبى
طالب كرم الله وجهه صغيرا فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته ونحن نرجو من
الله أن يكون استجاب ذلك فينا وأهدى النعمان الى على كرم الله وجهه
فالوذجا يوم النيروز أى بفتح أوله معرب يوم جديد من أعيادهم فقال
نوروزنا كل يوم وقيل كان فى المهرجان أى معرب محبة الروح هكذا مركب
من مهر بكسر أوله وجان فقال على كرم الله وجهه مهرجونا كل يوم وتخالف
الاخوين فى أن والد ثابت النعمان أو زوطى وجده المرزبان أو ماه أجبت
عنه بانه يحتمل أن يكون لكل اسمان أو اسم ولقب أو معنى زوطى النعمان
والمرزبان ماه وتخالفهما فى مس الرق يجاب عنه بان من أثبته أراد فى
الجد ومن نفاه أراد فى الاب الذى هو ثابت لكن قال ولد لاسمعيل المذكور
انهم موالى وان المسبى من كابل هو ثابت فاشترته امرأة من بنى تيم الله
فاعتقته وقيل ثابت بن طاوس بن هرمز ملك بنى ساسان وقيل انه عربى
فزوطى من بنى يحيى بن زيد بن أسد وفى نسخة ابن راشد الانصارى ورد
وقد رجح جماعة من أصحاب المناقب ما مر عن حفيديه فانهما أعرف بنسب

جدهما

﴿ الفصل الثالث فى مولده ﴾ الاكثرون على انه ولد سنة ثمانين بالكوفة فى خلافة عبد الملك بن مروان و ردوا ماشذ به بعضهم أنه ولد سنة احدى وستين

﴿ الفصل الرابع فى اسمه ﴾ اتفقوا على انه النعمان وفيه سر لطيف اذ أصل النعمان الدم الذى به قوام البدن ومن ثمة ذهب بعضهم الى أنه الروح فابو حنيفة رحمه الله به قوام الفقه ومنه منشأ مداركه وعويصاته أو نبت أحمر طيب الريح الشقيق أو الارجوان بضم الهمزة فابو حنيفة رحمه الله طابت خلاله و بلغ الغاية كماله أو فعلان من النعمة فابو حنيفة نعمة الله على خلقه وتحذف أل عند التنكير والنداء والاضافة وحذفها لغير ذلك نادر وقال ابن مالك حذفها واثباتها سيان واعترض وعلى أن كنيته أبو حنيفة مؤنث حنيف وهو الناسك أو المسلم لان الحنف الميل والمسلم مائل الى الدين الحق قيل سبب تكنيته بذلك ملازمته للدواة المسماة حنيفة بلغة العراق وقيل كانت له بنت تسمى بذلك و ردبانه لا يعلم له ولد ذكر ولا أنثى غير حماد وأخرج الخطيب وغيره عنه بسند فيه انقطاع لا يكنى بكنيتى بعدى الا مجنون قالوا فرأينا عدة تكنوا بها وكانت عقولهم ضعيفة وعورضوا بانه كنى بها نحو ثلاثين وكانوا أئمة علماء كالايقانى والدينورى ولم يسبق بهذه الكنية نعم وجدت لتابعين مجهولين

﴿ الفصل الخامس فى صورته ﴾ قال أبو يوسف رحمه الله كان ربعة من أحسن الناس صورة وأبلغهم نطقا وأكملهم ايرادا وأحلاهم نغمة وأبينهم حجة على ما يريد وقال حماد ولده كان طويلا يعلوه سمرة جميلا حسن الوجه هيوبا لا يتكلم الا جوابا ولا يخوض فيما لا يعنيه ولا تنافى بين كونه ربعة و بين كونه طويلا لانه قد يكون مع كونه ربعة أقرب الى الطول كما حررته فى شرح شمائل الترمذى وقال ابن المبارك كان حسن الوجه حسن الثياب

﴿ الفصل السادس فيمن أدركه من الصحابة رضى الله عنهم ﴾ صح كما قاله

الذهبى

الذهبي انه رأى انس بن مالك وهو صغير وفي رواية رأيته مرارا وكان
يخضب بالحمرة وأكثر المحدثين على أن التابعين من لقي الصحابي وان لم يصحبه
وصححه النووي كابن الصلاح وجاء من طرق انه روى عن انس أحاديث
ثلاثة لكن قال أئمة الحديث مدارها على من اتهمه الأئمة بوضع الاحاديث
وفي فتاوى شيخ الاسلام ابن حجر انه أدرك جماعة من الصحابة كانوا
بالكوفة بعد مولده بها سنة ثمانين فهو من طبقة التابعين ولم يثبت ذلك
لاحد من أئمة الامصار المعاصرين له كالاوزاعي بالشام والحمادين بالبصرة
والثوري بالكوفة ومالك بالمدينة الشريفة والليث بن سعد بمصر انتهى
وحينئذ فهو من أعيان التابعين الذين شملهم قوله تعالى والذين اتبعوهم
باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وذكر جماعة ممن صنف في المناقب
وغيرهم انه سمع أيضا من جماعة من الصحابة غير أنس منهم عمرو بن حريث
واعترض بان الصحيح انه مات سنة خمس وثمانين والقول بانه عاش الى سنة
ثمان وتسعين لم يثبت وأجيب بان الصواب الذي عليه جمهور المحدثين
واستقر عليه العمل ان الصغير اذا ميز صح سماعه وان كان ابن خمس سنين
ومنهم عبد الله بن أنيس الجهني واعترض بانه مات سنة أربع وخمسين وأجيب
بان هذا اسم لخمسة من الصحابة فلعل من روى عنه أبو حنيفة واحد غير الجهني
المشهور ورد بان غيره لم يدخل الكوفة وأخرج بعضهم بسنده الى أبي
حنيفة قال ولدت سنة ثمانين وقدم عبد الله بن أنيس صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكوفة سنة أربع وتسعين ورأيته وسمعت منه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم واعترض بان هذا السند
مجهول وبان الذي دخل الكوفة ابن أنيس الجهني وقد تقرر انه مات قبل
ولادة أبي حنيفة بدهر ومنهم عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي بفتح الجيم
وسكون الزاي وبالهمزة والزبيدي بضم الزاي مصغرا واعترض بانه مات

سنة ست وثمانين بمصر أى بسقط أبى تراب قرية من الغربية قريب سمنود والمحلة وكان مقيما بها وأما ماجاء عن أبى حنيفة من أنه حج مع أبيه سنة ست وتسعين وانه رأى عبد الله هذا يدرس بالمسجد الحرام وسمع منه حديثا فرده جماعة منهم الشيخ قاسم الحنفى من مشايخ مشايخنا بان سند ذلك فيه قلب وتحريف وفيه كذاب اتفاقا وبان ابن جزء مات بمصر ولابى حنيفة ست سنين وبأن عبد الله بن جزء لم يدخل الكوفة فى تلك المدة ومنهم جابر بن عبد الله واعترض بانه مات سنة تسع وسبعين قبل ولادة أبى حنيفة بسنة ومن ثمة قالوا فى الحديث المروى عن أبى حنيفة عن جابر انه صلى الله عليه وسلم أمر من لم يرزق ولدا بكثرة الاستغفار والصدقة ففعل فولد له تسعة ذكور انه حديث موضوع ومنهم عبد الله بن أبى أوفى وتعقب بانه مات سنة خمس أو سبع وثمانين واجيب بما مر فى عمرو بن حريث ومن ثمة جاء عن أبى حنيفة انه روى عن عبد الله هذا الحديث المتواتر من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة أى بفتح الميم بنى الله له بيتا فى الجنة قال بعضهم لعل أبا حنيفة سمعه منه وعمره خمس أو سبع ومنهم واثلة بكسر المثلثة ابن الاسقع بالقاف روى عنه حديثين لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك دع ما يريبك الى ما لا يريبك الاول رواه الترمذى من وجه آخر وحسنه والثانى جاء من رواية جمع من الصحابة وصححه الائمة واعترض بانه مات سنة ثلاث أو خمس وثمانين وجوابه ما مر آنفا ومنهم معقل بن يسار واعترض بانه مات فى امارة معاوية رضى الله عنه ومعاوية مات سنة ستين ومنهم أبو الطفيل عامر بن واثلة ووفاته سنة ثنتين ومائة بمكة وهو آخر الصحابة موتا ومنهم عائشة بنت عجرد واعترض بان حاصل كلام الذهبى وشيخ الاسلام ابن حجر ان هذه لا صحبة لها وانها لا تكاد تعرف وبذلك رد ما روى ان أبا حنيفة روى عنها هذا الحديث الصحيح أكثر جند الله تعالى فى الارض الجراد لا آكله ولا أحرمه ومنهم سهل بن سعد ووفاته سنة ثمان وثمانين وقيل بعدها ومنهم السائب بن

خلاد بن سويد ووفاته سنة احدى وتسعين ومنهم السائب بن يزيد بن سعيد
و وفاته سنه احدى أو اثنتين أو أربع وتسعين ومنهم عبد الله بن بسرة
ووفاته سنة ست وتسعين ومنهم محمود بن الربيع ووفاته سنة تسع وتسعين
ومنهم عبد الله بن جعفر واعترض بانه مات سنة ثمانين بارض حمص ومنهم
أبو أمامة واعترض بانه مات سنة احدى وثمانين بارض حمص ۞ تنبيه ۞ قال
بعض متأخرى المحدثين ممن صنف فى مناقب الامام أبى حنيفة كتابا حافلا
ماحاصله جزم خلائق من أئمة الحديث بانه لم يسمع من أحد من الصحابة شيأ
واحتجوا باشياء منها ان أئمة أصحابه الاكابر كابى يوسف ومحمد وابن المبارك
وعبد الرزاق وغيرهم لم ينقلوا عنه شيأ من ذلك ولو كان لنقلوه فانه مما يتنافس
فيه المحدثون ويعظم افتخارهم به فان كل سند فيه انه سمع من صحابى لا يخلو من
كذاب وباشياء أخر قالوا وامارؤيته لانس وادراكه لجماعة من الصحابة
بالسن فصحيحان لاشك فيهما وماوقع للعينى انه أثبت سماعه من الصحابة
رده عليه صاحبه الشيخ الحافظ قاسم الحنفى والظاهر ان سبب عدم سماعه
ممن أدركه من الصحابة انه أول أمره اشتغل بالاكتساب حتى أرشده الشعبى
لما رأى من باهر نجابته الى الاشتغال بالعلم ولا يسع من له أدنى المام بعلم
الحديث ان يذكر خلاف ماذكرته انتهى حاصل كلام ذلك المحدث وقاعدة
المحدثين ان راوى الاتصال مقدم على راوى الارسال والانقطاع لان معه
زيادة علم تؤيد ماقاله العينى فاحفظ ذلك فانه مهم

۞ الفصل السابع فى ذكر شيوخه ۞ هم كثيرون لا يسع هذا المختصر ذكرهم
وقد ذكر منهم الامام أبو حفص الكبير أربعة آلاف شيخ وقال غيره له أربعة
آلاف شيخ من التابعين فما لك بغيرهم منهم الليث بن سعد وكذا مالك
ابن أنس امام دار الهجرة على ماذكره الدارقطنى وجماعة آخرهم أبو محمد
العينى بل قال بعضهم انه رأى فى مسند الامام أبى حنيفة التحديث عن
مالك وهذان الامامان من جملة الآخذين عنه وعد بعض المترجمين

مشايخه بما يطول ذكره فلذا حذفته

(الفصل الثامن فى ذكر الآخذين عنه الحديث والفقه) قيل استيعابه متعذر لا يمكن ضبطه ومن ثمة قال بعض الائمة لم يظهر لاحد من أئمة الاسلام المشهورين مثل ماظهر لابى حنيفة من الاصحاب والتلاميذ ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وباصحابه فى تفسير الاحاديث المشتبهة والمسائل المستنبطة والنوازل والقضاء والاحكام جزاهم الله خيرا وقد ذكر منهم بعض متأخرى المحدثين فى ترجمته نحو الثمانمائة مع ضبط أسمائهم ونسبهم بما يطول ذكره

(الفصل التاسع فى مبدأ أمره ونشأته وسبب اشتغاله بالعلم) سبق ان الصحيح انه ولد بالكوفة ونشأ بها وانه لم يجد فى حال ترعرعه من يرشده الى الاخذ عمن أدركه من الصحابة فاشتغل بالبيع والشراء الى ان قيض الله له الامام الشعبى فايقظه الى النظر فى العلم ومجالسة العلماء لما رأى فيه من اليقظة والنجابة فوقع فى قلبه قوله فترك السوق وأخذ فى العلم فنظر فى علم الكلام وبلغ فيه مبلغا يشار اليه فيه بالاصابع وأعطى فيه جدلا فضى عليه زمن به يخاصم وعنه يناضل حتى دخل البصرة لان أكثر الفرق كان بها نيفا وعشرين فرقة يقيم فى بعض المرات سنة أو أكثر ينازع أولئك الفرق لانه كان يعد الكلام أرفع العلوم وأفضلها لكونه فى أصول الدين ثم ألهم ان الصحابة والتابعين لم يكونوا كذلك مع انهم عليه أقدر وبه أعرف بل نهوا عنه أشد النهى ولم يخوضوا الا فى الشرائع وأبواب الفقه وتعليم الناس فكره طرائق الجدل وأكد ذلك عنده انه كان يجلس بالقرب من حلقة حماد فجاءته امرأة فسألته عن رجل يريد ان يطلق امرأته للسنة كيف يقول فلم يجد جوابا فامرها ان تسأل حمادا ثم تعلمه بجوابه ففعلت فترك الكلام وجلس فى حلقة حماد فكان يحفظ جميع ما يقوله ويخطئ فيه أصحابه فاجلسه بحذائه فى صدر الحلقة عشر سنين فنازعته نفسه ان ينفرد عنه ويستقل بحلقة لنفسه

فجلس اليه ليلة عزمه على فعل ذلك فى صبيحتها فجاءه حينئذ نعى قريب له لا وارث له غيره فاحتاج للسفر لاخذ ماله فاستخلفه فى حلقته وغاب شهرين ثم قدم وقد سئل عن ستين مسئلة لم يكن سمعها منه فاجاب فيها ثم عرضها عليه فوافقه فى أربعين وخالفه فى عشرين فآلى على نفسه ان لا يفارقه حتى يموت وأخرج الخطيب وغيره عنه انه لما أراد الاشتغال بالعلم تصور غايات العلوم وان غاية الكلام قليلة وصاحبه اذا كمل واحتيج اليه لا يقدر يتكلم جهارا ويرمى بكل سوء وغاية علم الادب والنحو والقراءة الجلوس الى الاحداث لتعليمهم اياها وغاية الشعر المدح والهجو والكذب والحديث يحتاج الى العمر الطويل ولعل صاحبه يرمى بالكذب وسوء الحفظ فيصير ذلك وصمة فيه الى يوم القيامة قال ثم فكرت فى الفقه فكلما قلبته وأدرته لم يزد الا حلاوة ولم أجد فيه عيبا ورأيت أمر الاستقيم طلب الدنيا والآخرة الا بمعرفته فاشتغلت به * (تنبيه) * احذر ان تتوهم من ذلك ان أبا حنيفة لم يكن له خبرة تامة بغير الفقه حاشا لله كان فى العلوم الشرعية من التفسير والحديث والآلة من العلوم الادبية والمقاييس الحكمية بحرا لا يجارى واما ما لا يمارى وقول بعض أعدائه فيه خلاف ذلك منشؤه الحسد وجهته الترفع على الاقران ورميهم بالزور والبهتان ويأبى الله الا أن يتم نوره ومما يكذب ذلك ان له مسائل فقهية بنى أقواله فيها على علم العربية بما ان وقف عليه من تأمله لقضى بتمكنه من هذا العلم بما يبهر العقل وان له من النظم البليغ ما يعجز عنه كثير من نظرائه وقد انفرد بها بالتأليف الزمخشرى وغيره على ما يأتى وسيأتى انه صح عنه انه كان يختم فى شهر رمضان ستين ختمة وانه كان يقرأ القرآن كله فى ركعة فزعم بعض حاسديه انه كان لا يحفظ القرآن بهت منه وكذب شنيع وقال أبو يوسف ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبى حنيفة وكان أبصر بالحديث الصحيح منى وفى جامع الترمذى عنه ما رأيت أكذب من جابر الجعفى ولا أفضل من عطاء بن أبى رباح وروى البيهقى عنه انه سئل

عن الاخذ عن سفيان الثورى فقال اكتب عنه فانه ثقة ماعدا أحاديث أبى اسحق عن جابر الجعفى وروى الخطيب عن سفيان بن عيينة أنه قال أول من أقعدنى للحديث بالكوفة أبو حنيفة قال لهم هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار وبهذا يعلم جلالة مرتبته فى الحديث أيضا كيف وهو يستأمر فى الثورى ويجلس ابن عيينة

(الفصل العاشر فى ابتداء جلوسه للافتاء والتدريس) لما مات شيخه حماد ابن سليمان وكانت انتهت اليه رياسة الكوفة والناس به أغنياء احتاج الناس لمن يجلس لهم فجلس ابنه واختلف اليه أصحاب أبيه فلم يجدوا عنده ما يغنيهم لان الغالب عليه النحو والكلام فجلس موسى بن كثير فاحتمله الناس للقيه الاكابر وان لم يكن فارقا فى الفقه فخرج حاجا فاجمع رأيهم على أبى حنيفة فأطاعهم وقال ما أحب ان يموت العلم فاختلفوا اليه فوجدوا عنده من العلم العزيز فى كل باب وحسن المواساة والصبر عليهم مالم يجدوه عند غيره فلزموه وتركوا غيره ثم تخرجوا به طبقة بعد طبقة حتى صاروا أئمة فى العلم والدين ومن الطبقة الثانية أبو يوسف وزفر وآخرون ثم لم يزل أمره يزداد علوا ويكثر أصحابه حتى صارت حلقته أعظم حلقة فى المسجد وانصرفت وجوه الناس اليه وأكرمه الامراء وذكره الخلفاء وحمده الكل وعمل أشياء أعجزت غيره ومع ذلك كثرت حساده ومعادوه لان ذلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ومما زاد فى اقباله على الافتاء والتدريس بعد انقباضه عنهما انه رأى كأنه ينبش قبر النبى صلى الله عليه وسلم وجمع عظامه فوضعها على صدره بعد ان استخرجها وفى رواية انه لما استخرجها صار يؤلف بعضها على بعض فافزعه ذلك فزعا شديدا وأقلقه الى ان عاده اخوانه فارسل الى ابن سيرين فاولها بان صاحبها يفتح للناس من سنن النبى صلى الله عليه وسلم وتأويلها مالم يسبقه أحد اليه فعند ذلك انبسط فى المسائل وأتى فيها بما يبهر العقل وفى رواية ان بعض أصحابه لما يراه متوجعا ولم يربه مرضا سأله عن حاله فأخبره

برؤياه فقال هنا صاحب لابن سيرين ندعوه لك فقال لا أنا آتيه فاتاه فقصها عليه فقال ان كان ما تقوله حقا لتعلمن فى اقامة السنة علما لم يسبقك اليه احد ولتدخلن فى العلم مدخلا بعيدا وهذا لا ينافى ما قبله لانه لا مانع انه قصت على ابن سيرين وعلى تلميذه فتوافقا على ماذكره والله أعلم

﴿ الفصل الحادى عشر فيما بنى عليه مذهبه ﴾ اعلم انه يتعين عليك ان لا تفهم من أقوال العلماء عن أبى حنيفة وأصحابه انهم أصحاب الرأى ان مرادهم بذلك تنقيصهم ولا نسبتهم الى انهم يقدمون رأيهم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على قول أصحابه لانهم برآء من ذلك فقد جاء عن أبى حنيفة من طرق كثيرة ما ملخصه انه أولا يأخذ بما فى القرآن فان لم يجد فبالسنة فان لم يجد فبقول الصحابة فان اختلفوا أخذ بما كان أقرب الى القرآن أو السنة من أقوالهم ولم يخرج عنهم فان لم يجد لاحد منهم قولا لم يأخذ بقول أحد من التابعين بل يجتهد كما اجتهدوا وقال الفضيل بن عياض ان كان فى المسئلة حديث صحيح تبعه وان كان عن الصحابة أو التابعين فكذلك والا قاس فأحسن القياس وقال ابن المبارك رواية عنه اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين واذا جاء عن الصحابة اخترنا ولم نخرج عن أقوالهم واذا جاء عن التابعين زاحمناهم وعنه أيضا عجبا للناس يقولون أفتى بالرأى ما أفتى الا بالاثر وعنه أيضا ليس لاحد ان يقول برأيه مع كتاب الله تعالى ولا مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مع ما أجمع عليه أصحابه وأما ما اختلفوا فيه فنتخير من أقاويلهم أقربه الى كتاب الله تعالى أو الى السنة ونجتهد وما جاوز ذلك فالاجتهاد بالرأى لمن عرف الاختلاف وقاس وعلى هذا كانوا وعن المزنى سمعت الشافعى يقول الناس عيال على أبى حنيفة فى القياس انتهى ولدقة قياسات مذهبهم كان المزنى يكثر من النظر فى كلامهم حتى حمل ذلك ابن أخته الامام الطحاوى على انه انتقل من مذهب الشافعى الى مذهب أبى حنيفة كما صرح بذلك الطحاوى

بنفسه وعن الحسن بن صالح ان أبا حنيفة كان شديد الفحص عن الناسخ والمنسوخ عارفا بحديث أهل الكوفة شديد الاتباع لما كان الناس عليه حافظا لما وصل الى أهل بلده وسمعه رجل يقايس آخر فى مسئلة فصاح دعوا هذه المقايسة فان أول من قاس ابليس فأقبل اليه أبو حنيفة فقال يا هذا وضعت الكلام فى غير موضعه ابليس رد بقياسه على الله تعالى أمره كما أخبر تعالى عنه فى كتابه فكفر بذلك وقياسنا اتباع لامر الله تعالى لانا نرده الى كتابه وسنة رسوله أو أقوال الائمة من الصحابة والتابعين فنحن ندور حول الاتباع فكيف نساوى ابليس لعنه الله فقال له الرجل غلطت وتبت فنور الله قلبك كما نورت قلبى وعنه انه كان يقول هذا الذى نحن عليه رأى لا نجبر عليه أحدا ولا نقول يجب على أحد قبوله فمن كان عنده أحسن منه فليأت به نقبله وقال ابن حزم جميع أصحاب أبى حنيفة مجمعون على ان مذهبه ان ضعيف الحديث أولى عنده من القياس

(الفصل الثانى عشر فى الصفات التى تميز بها على من بعده) وهى كثيرة منها انه رأى جماعة من الصحابة كما مر وقد صح من طرق انه صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآنى ولمن رأى من رآنى ولمن رأى من رأى من رآنى ومنها انه ولد فى قرنه صلى الله عليه وسلم الذى صح عنه من طرق كثيرة انه قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفى رواية لمسلم خير الناس القرن الذى أنا فيه ثم الثانى ثم الثالث ومنها انه اجتهد وأفتى فى زمن التابعين بل لما حج الاعمش أرسل اليه ليكتب له المناسك وكان يقول اكتبوا المناسك عنه فانى لا أعلم أحدا أعلم بفرضها ونفلها منه فانظر هذه الشهادة له من مثل الاعمش ومنها رواية أكابر شيوخه وغيرهم عنه كعمرو بن دينار ودخل على الخليفة المنصور فقال له عيسى بن موسى يا أمير المؤمنين هذا عالم الدنيا اليوم فقال له الخليفة عمن أخذت العلم قال عن أصحاب عمر عنه وعن أصحاب على عنه وعن أصحاب ابن مسعود عنه فقال بخ بخ لقد استوثقت لنفسك ما شئت

ومنها ما اتفق له من الاصحاب مما لم يتفق لاحد بعده كما علم مما مر وقال رجل عند وكيع أخطأ أبو حنيفة فزجره وكيع وقال من يقول هذا كلا نعم بل هم أضل سبيلا كيف يخطئ وعنده أئمة الفقه كابي يوسف ومحمد وأئمة الحديث وعددهم وأئمة اللغة والعربية وعددهم وأئمة الزهد والورع كالفضيل وداود الطائي ومن كان أصحابه هؤلاء لم يكن ليخطئ لانه ان أخطأ ردوه للحق ومنها أنه أول من دون علم الفقه ورتبه أبوابا وكتبا على نحو ماهو عليه اليوم وتبعه مالك في موطئه ومن قبله انما كانوا يعتمدون على حفظهم وهو أول من وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط ومنها انتشار مذهبه في أقاليم ليس فيها غيره كالهند والسند والروم وماوراء النهر ومنها انفاقه على نفسه وغيره من العلماء وغيرهم من كسب يده ولم يقبل جائزة مع ماتواتر من كثرة عبادته وزهده وكثرة حجه واعتماره وغير ذلك مما يأتي ومنها أنه مات مظلوما محبوسا مسموما كما يأتي

(الفصل الثالث عشر في ثناء الائمة عليه) روى الخطيب عن الشافعي رحمه الله قال قيل لمالك رحمه الله هل رأيت أبا حنيفة رحمه الله قال نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته وفي رواية أنه سأله عن جماعة فاجابه عنهم قال فابو حنيفة قال سبحان الله لم أر مثله تالله لو قال ان الاسطوانة من ذهب لاقام الدليل القياسي على صحة قوله وقال ابن المبارك دخل أبو حنيفة على مالك فرفعه ثم قال بعد خروجه أتدرون من هذا قالوا لا قال هذا أبو حنيفة النعمان لو قال هذه الاسطوانة من ذهب لخرجت كما قال لقد وفق له الفقه حتى ماعليه فيه كثير مؤنة ثم دخل الثوري فأجلسه دون مجلس أبي حنيفة فلما خرج ذكر من فقهه وورعه وقال الشافعي من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة انه ممن وفق له الفقه هذه رواية حرملة عنه وفي رواية الربيع عنه الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة مارأيت أي علمت أحدا أفقه منه لانه لم يدرك أحدا أفقه منه وجاء عنه أيضا

من لم ينظر فى كتبه لم يتجر فى العلم ولا يتفقه وقال ابن عيينة ما رأت عينى
مثله وعنه من أراد المغازى فالمدينة أو المناسك فمكة أو الفقه فالكوفة
ويلزم أصحاب أبى حنيفة وقال ابن المبارك كان أفقه الناس ما رأيت أفقه
منه وقال كان آية فقيل فى الخير أو الشر فقال اسكت يا هذا يقال غاية فى الشر
وآية فى الخير وعنه ان احتيج للرأى فرأى مالك وسفيان وأبى حنيفة وهو
أفقههم وأحسنهم وأدقهم فطنة وأغوصهم على الفقه وعنه قوله عندنا اذا لم
نجد أثرا كالاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه أنه كان يحدث
الناس فقال حدثنى النعمان بن ثابت فقيل له من تعنى قال أبا حنيفة مخ العلم
فامسك بعضهم عن أن يكتب ذلك الاملاء فسكت ابن المبارك هنيهة ثم قال
أيها الناس ما أسوأ أدبكم وأجهلكم بالائمة وما أقل معرفتكم بالعلم وأهله ليس
أحد أحق أن يقتدى به من أبى حنيفة لانه كان اماما تقيا ورعا عالما فقيها
كشف العلم كشفا لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى ثم حلف أن
لا يحدثهم شهرا وقال الثورى لمن قال له جئت من عند أبى حنيفة لقد جئت
من عند أفقه أهل الارض وقال أيضا ان الذى يخالف أبا حنيفة يحتاج الى أن
يكون أعلى منه قدرا وأوفر علما وبعيد ما يوجد ذلك ولما جا كان يقدمه
ويمشى خلفه ولا يجيب اذا سئلا حتى يكون أبو حنيفة هو الذى يجيب وقيل
له وقد رؤى تحت رأسه كتاب الرهن لابى حنيفة تنظر فى كتبه فقال وددت
أنها كلها عندى مجتمعة أنظر فيها ما بقى فى شرح العلم غاية ولكنا لا ننصفه
وقال أبو يوسف رحمه الله الثورى أكثر متابعة لابى حنيفة منى ووصفه يوما
لابن المبارك فقال انه ليركب من العلم أحد من سنان الرمح كان والله شديد
الاخذ للعلم ذابا عن المحارم متبعا لاهل بلده لا يستحل أن يأخذ الا ما صح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه وكان
يطلب أحاديث الثقات والاخذ من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
أدرك عليه علماء أهل الكوفه فى اتباع الحق أخذ به وجعله دينه وقد شنع

عليه

عليه قوم فسكتنا عنهم بما نستغفر الله تعالى منه وقال الاوزاعى لابن المبارك من هذا المبتدع الذى خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة فأراه مسائل عويصة من مسائله فلما رآها منسوبة للنعمان بن ثابت قال من هذا قلت شيخ لقيته بالعراق قال هذا نبيل من المشايخ اذهب فاستكثر منه قلت هذا أبو حنيفة الذى نهيت عنه ثم لما اجتمع بأبى حنيفة بمكة جاراه فى تلك المسائل فكشفها أبو حنيفة له باكثر ما كتبها ابن المبادك عنه فلما افترقا قال الاوزاعى لابن المبارك غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله واستغفر الله تعالى لقد كنت فى غلط ظاهر الزم الرجل فانه بخلاف ما بلغنى عنه وقال ابن جريج لما بلغه من علمه وشدة ورعه وصيانته لدينه وعلمه أحسبه سيكون له فى العلم شأن عجيب وذكر عنده يوما فقال اسكتوا انه لفقيه انه لفقيه انه لفقيه وقال أحمد بن حنبل فى حقه انه من أهل الورع والزهد وايثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد ولقد ضرب بالسياط ليلى القضاء للمنصور فلم يفعل فرحمة الله عليه ورضوانه وقال يزيد بن هرون لما سئل عن النظر فى كتبه انظروا فيها فانى ما رأيت أحدا من الفقهاء يكره النظر فى قوله ولقد احتال الثورى فى كتاب الرهن له حتى نسخه وقال أيضا لما قيل له رأى مالك أحب اليك من رأى أبى حنيفة اكتب حديث مالك فانه كان ينتقى الرجال والفقه صناعة أبى حنيفة وصناعة أصحابه كانهم حلقوا له وروى الخطيب عن بعض أئمة الزهد أنه قال يجب على أهل الاسلام أن يدعوا لابى حنيفة فى صلاتهم لحفظه عليهم السنة والفقه وقال الناس فيه حاسد وجاهل وهو أحسنهما عندى وقال من أراد أن يخرج من ذل العمى والجهل ويجد حلاوة الفقه فلينظر فى كتبه وقال مكى بن ابراهيم كان أبو حنيفة اعلم أهل زمانه وقال يحيى بن سعد القطان ما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفة ومن ثمة كان يذهب فى الفتوى الى قوله وقال النضر ابن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبينه ولخصه وقال مسعر بكسر فسكون ففتح ابن كدام بكسر فتخفيف مهملة من

جعل أبا حنيفة بينه وبين الله رجوت أن لا يخاف ولا يكون فرط فى الاحتياط
لنفسه وقيل له لم تركت رأى أصحابه وأخذت برأيه قال لصحته فأتوا بأصح منه
لارغب عنه اليه وقال ابن المبارك رأيت مسعرا فى حلقة أبى حنيفة يسأله
ويستفيد منه وقال مارأيت أفقه منه وقال عيسى بن يونس لا تصدقن
أحدا يسىء القول فيه فانى والله مارأيت أفضل منه ولا أفقه منه وقال معمر
مارأيت رجلا يحسن ان يتكلم فى الفقه ويسعه ان يقيس ويشرح الحديث
أحسن معرفة من أبى حنيفة ولا أشفق على نفسه من ان يدخل فى دين الله
شيأ من الشك من أبى حنيفة وقال الفضيل كان ففيها معروفا بالفقه
مشهورا بالورع واسع المال معروفا بالافضال على كل من يطوف به صبورا
على تعليم العلم بالليل والنهار قليل الكلام حتى لا يرد مسئلة فى الحلال والحرام
الا على الحق هاربا من السلطان وقال أبو يوسف انى لادعوله قبل أبوى
وسمعته يقول انى لادعو لحماد مع أبوى وقال أبو حنيفة زينه الله تعالى بالفقه
والعمل والسخاء والبذل واخلاق القرآن التى كانت فيه وقال كان خلف
من مضى وما خلف والله على وجه الارض مثله وسئل الاعمش عن مسئلة
فقال انما يحسن جواب هذا النعمان بن ثابت وأظنه بورك له فى علمه وقال يحيى
ابن آدم ما تقولون فى هؤلاء الذين يقعون فى أبى حنيفة قال انه جاءهم بما
يعقلونه ومالا يعقلونه من العلم فحسدوه وقال وكيع مارأيت أحدا أفقه منه
ولا أحسن صلاة منه وقال الامام الحافظ الناقد يحيى بن معين الفقهاء أربعة
أبو حنيفة وسفيان ومالك والاوزاعى وعنه القراءة عندى قراءة حمزة والفقه
فقه أبى حنيفة على هذا أدركت الناس وسئل هل حدث سفيان عنه قال
نعم كان ثقة صدوقا فى الفقه والحديث مأمونا على دين الله وقال ابن المبارك
رأيت الحسن بن عمارة آخذا بركابه قائلا والله مارأيت أحدا يتكلم فى الفقه
أبلغ ولا أصبر ولا أحضر جوابا منك وانك لسيد من تكلم فى الفقه فى وقتك
غير مدافع وما يتكلمون فيك الا حسدا وقال شعبة كان والله حسن الفهم

جيد الحفظ حتى شنعوا عليه بما هو أعلم به منهم والله سيلقون عند الله وكان
كثير الترحم عليه وسئل يحيى بن معين عنه فقال ثقة ما سمعت أحدا ضعفه
هذا شعبة يكتب له ان يحدث ويأمره وسبقه ووصفه أبو أيوب السختياني
بالصلاح والفقه ورمى عند ابن عون بانه يقول القول ثم يرجع عنه في غد
فقال هذا دليل ورعه فانه يرجع من خطا الى صواب ولولا ذلك لنصر خطأه
ودافع عنه وقال حماد بن زيد كنا نأتي عمرو بن دينار فاذا جاء أبو حنيفة أقبل
عليه وتركنا نسأل أبا حنيفة فنسأله فيحدثنا وقال الحافظ عبد العزيز بن أبي
رواد من أحب أبا حنيفة فهو سني ومن أبغضه فهو مبتدع وفي رواية بيننا
وبين الناس أبو حنيفة فمن احبه وتولاه علمنا أنه من أهل السنة ومن أبغضه
علمنا أنه من أهل البدعة وقال خارجة بن مصعب أبو حنيفة في الفقهاء
كقطب الرحى وكالجهبذ الذي ينقد الذهب وقال الحافظ محمد بن ميمون لم
يكن في زمن أبي حنيفة أعلم ولا أورع ولا أزهد ولا أعرف ولا أفقه منه تالله
ما سرني بسماعي منه مائة ألف دينار وقال ابراهيم بن معاوية الضرير من
تمام السنة حب أبي حنيفة وقال كان يصف العدل ويقول به وبين للناس
سبيل العلم وأوضح لهم مشكلاته وقال أسد بن حكيم لا يقع فيه الا جاهل
أو مبتدع وقال أبو سليمان كان أبو حنيفة عجبا من العجب وانما يرغب عن
كلامه من لم يقو عليه وقال أبو عاصم هو والله عندي أفقه من ابن جريج
ما رأت عيني رجلا أشد اقتدارا على الفقه منه وذكر عند داود الطائي
فقال ذاك نجم يهتدي به الساري وعلم تقبله قلوب المؤمنين وقال شريك
القاضي كان أبو حنيفة طويل الصمت كثير التفكر دقيق النظر في الفقه
لطيف الاستخراج في العلم والعمل والبحث ان كان الطالب فقيرا أغناه فاذا
تعلم قال له وصلت الى الغنى الاكبر بمعرفة الحلال والحرام وقال خلف بن
أيوب صار العلم من الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم ثم منه الى أصحابه ثم
منهم الى التابعين ثم صار الى أبي حنيفة واصحابه فمن شاء فليرض ومن شاء

فليسخط وقيل لبعض الائمة مالك تخص أبا حنيفة عند ذكره بمدح دون غيره
قال لان منزلته ليست كمنزلة غيره فيما انتفع الناس بعلمه فاخصه عند ذكره
ليرغب الناس بالدعاء له والآثار فى النقل عن الائمة غير ماذكر كثيرة وفى
بعض ماذكرناه مقنع للمنصف المذعن الذى يعرف الحق لاهله ومن ثمة قال
الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر بعد كلام ذكره وأهل الفقه لا يلتفتون الى
من طعن عليه ولا يصدقون بشئ من السوء ينسب اليه

﴿ الفصل الرابع عشر فى شدة اجتهاده فى العبادة ﴾ قال الذهبى قد تواتر
قيامه الليل وتهجده وتعبده ومن ثمة كان يسمى الوتد من كثرة قيامه الليل
بل أحياه بقراءة القرآن فى ركعة ثلاثين سنة وحفظ عنه انه صلى صلاة الفجر
بوضوء العشاء أربعين سنة فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن فى ركعة
واحدة يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه وحفظ عنه انه ختم القرآن فى
الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف مرة ووقع رجل فيه عند ابن المبارك فقال
ويحك أتقع فى رجل صلى خمسا وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد
وكان يختم القرآن فى ركعة وتعلمت ماعندى من الفقه منه وقال أبو مطيع
مادخلت الطواف فى ساعة من الليل الا رأيت أبا حنيفة وسفيان فيه ولما
غسله الحسن بن عمارة قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة وقد
أتعبت من بعدك وفضحت القراء وسبب احيائه الليل أنه سمع رجلا يقول
لآخر هذا أبو حنيفة الذى لا ينام فقال لابى يوسف سبحان الله ألا ترى الله
تعالى نشر لنا هذا الذكر أوليس بقبيح ان يعلم الله تعالى منا ضد ذلك والله
لا يتحدث الناس عنى بما لم أفعل فكان يحيى الليل صلاة وتضرعا ودعاء وقال
أبو يوسف كان يختم كل يوم وليلة ختمة وفى رمضان ويوم العيد اثنين وستين
ختمة وكان سخيا بالمال صبورا على تعليم العلم شديد الاحتمال لما يقال فيه
بعيد الغضب شهدته يصلى الصبح بوضوء أول الليل عشرين سنة ومن صحبه
قبلنا قالوا انه كذلك أربعين سنة وقال مسعر رأيته يصلى الغداة ثم يجلس

للناس

للناس فى العلم الى أن يصلى الظهر ثم يجلس الى العصر ثم الى قريب المغرب ثم الى العشاء فقلت فى نفسى متى يتفرغ هذا للعبادة لا تعاهدنه فلما هدأ الناس خرج الى المسجد متطهرا كانه عروس فانتصب للصلاة الى الفجر ثم دخل ولبس ثيابه وخرج لصلاة الصبح ففعل كما فعل قبل فقلت فى نفسى ان الرجل قد ينشط الليلة لا تعاهدنه فلما هدأ الناس خرج وفعل كفعله قبل فى ليله ويومه حتى اذا صلى العشاء قلت ان الرجل قد ينشط الليلتين لا تعاهدنه الليلة ففعل كفعله قبل فقلت لا لزمنه الى أن أموت أو يموت قال فما رأيته بالنهار مفطرا ولا بالليل نائما وكان يغفو قبل الظهر غفوة خفيفة ومات مسعر فى سجوده فى مسجد أبى حنيفة وقال شريك كنت معه سنة فما رأيته وضع جنبه على الفراش وعن خارجة ختم القرآن فى ركعة داخل الكعبة أربعة وعد منهم أبا حنيفة وقال الفضيل بن دكين بضم الدال المهملة رأيت جماعة من التابعين وغيرهم فما رأيت أحسن صلاة من أبى حنيفة ولقد كان قبل الدخول فى الصلاة يبكى ويدعو فيقول القائل هو والله يخشى وكنت اذا رأيته رأيته كالشن البالى من العبادة وهو بفتح الشين وتشديد النون القربة الخلقة وردد فى قوله تعالى (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) ليلة كاملة فى صلاته وقرأ ليلة أخرى حتى وصل (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) فما زال يردد ها حتى أذن للفجر وقالت أم ولده ما توسد فراشا بليل منذ عرفته وانما كان نومه بين الظهر والعصر بالصيف وأول الليل بمسجده فى الشتاء وقال ابن أبى رواد ما رأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة منه انما كان كل الليل والنهار فى طلب الآخرة والنجاة ولقد شاهدته عشر ليال فما رأيته نام بالليل ولا هدأ ساعة من نهار من طواف وصلاة أو تعليم وذكر بعض أهل المناقب انه لما حج حجة الوداع أعطى السدنة نصف ماله ليمكنوه من الصلاة داخل الكعبة فقرأ نصف القرآن قائما على رجل ثم نصفه الآخر قائما على الاخرى وقال يارب عرفتك حق

معرفتك وما عبدتك حق العبادة فهب لى نقصان الخدمة لكمال المعرفة فنودى من زاوية البيت عرفت فاحسنت وأخلصت الخدمة غفرنا لك ولمن كان على مذهبك الى قيام الساعة ﴿تنبيه﴾ لا ينافى ما نقل عنه ان صح من قوله عرفتك حق معرفتك ما قاله غيره سبحانك ما عرفناك حق معرفتك لان مراد الامام عرفتك حق معرفتك اللائقة بى وانتهى اليه علمى ففيه تجوز ومراد غيره أن حقيقة المعرفة اللائقة بالحق لا يمكن أحدا أن يصل اليها وهذا هو الحقيقة كيف وسيد المرسلين والاولين والآخرين يقول لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وفى حديث الشفاعة العظمى فى فصل القضاء انه صلى الله عليه وسلم يلهم عند سؤاله فيها محامد لم يكن ألهمها قبل فهذه معارف متجددة وهكذا الى ما لا نهاية له ووقوفه على رجل فى الصلاة مكروه عند غيره لصحة الحديث فى النهى عنه فنفرض انه يرى كراهته ويجاب عنه بانه انما فعل ذلك مجاهدة لنفسه وليس ببعيد ان غرض مجاهدة النفس فى مثل ذلك ممن لم يختل به خشوعه مانع للكراهة وختمه القرآن فى ركعة لا ينافى خبر أن من قرأه فى أقل من ثلاث لم يتفقه لان محله فيمن لم تخرق له العادة فى الحفظ والسهولة واتساع الزمن ومن ثمة جاء عن كثير من الصحابة والتابعين انهم كانوا يختمونه فى ركعة بل ختمه بعضهم أربع مرات فيما بين المغرب والعشاء وكل ذلك من باب الكرامات فلا يعترض به

(الفصل الخامس عشر فى خوفه ومراقبته لربه سبحانه وتعالى) قال أسد بن عمرو كان بكاء أبى حنيفة يسمع بالليل حتى يرحمه جيرانه وقال وكيع كان والله عظيم الامانة وكان الله تعالى فى قلبه جليلا كبيرا وكان يؤثر رضاء ربه تبارك وتعالى على كل شئ ولو أخذته السيوف فى الله تعالى لاحتمل رحمه الله ورضى عنه ربه رضا الابرار فلقد كان منهم وقال يحيى بن القطان كنت اذا نظرت اليه عرفت انه يتقى الله عز وجل وقام ليلة بهذه الآية يرددها ويبكى ويتضرع (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وبلغ فى ليلة (ألهاكم

التكاثر) فرددها حتى أصبح وقال يزيد بن الليث وكان من الاخيار قرأ الامام (اذا زلزلت الارض) وأبو حنيفة خلفه فلما فرغ نظرت اليه فاذا هو جالس يتفكر ويتنفس فقمت لئلا يشتغل قلبه وتركت القنديل وزيته قليل ثم جئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول يا من يجزي بمثقال ذرة خيرا خيرا ويا من يجزي بمثقال ذرة شرا شرا أجر النعمان عندك من النار وما يقرب منها وأدخله في سعة رحمتك قال فاتيت فاذا القنديل يزهو وهو قائم فلما دخلت قال لي تريد أن تأخذ القنديل قلت قد أذنت لصلاة الغداة قال اكتم ما رأيت وركع ركعتي الفجر وجلس حتى أقيمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل وقال أبو الاحوص لو قيل له انك تموت الى ثلاثة أيام ما كان فيه فضل شئ يقدر أن يزيد على عمله الذي كان يعمل وذكر عند عيسى بن يونس قال فدعاله وقال كان أشد اجتهاده في أن لا يعصي الله تعالى وأن يعظم حرماته وقال لولا الحرج ما أفتيت أخوف ما أخاف أن يدخلني النار ما أنا عليه من الفتوى وقال ما اجترأت على الله تعالى منذ فقهت وسمع غلامه يسأل الجنة فبكى حتى اختلج صدغاه ومنكباه وأمر بغلق الدكان وقام مغطي الرأس مسرعا ثم قال ما أجرأنا على الله يقول أحدنا نسأل الله الجنة وانما يسأل ذلك من رضي نفسه انا يريد مثلنا أن يسأل الله العفو وقرأ الامام يوما في صلاة الصبح (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) فارتعد حتى عرف ذلك منه وكان اذا أشكلت عليه مسئلة قال لاصحابه ما هذا الا لذنب أحدثته فيستغفر الله وربما قام فتوضأ وصلى ركعتين ويستغفر فتفرج له المسئلة فيقول استبشرت لاني رجوت انه تيب علي حتى أدركت المسئلة فبلغ ذلك الفضيل فبكى بكاء شديدا ثم قال رحم الله أبا حنيفة انما كان ذلك لقلة ذنوبه وأما غيره فلا يتنبه لذلك لان ذنوبه قد استغرقته ووطئ رجل صبي لم يره فقال يا شيخ أما تخاف القصاص يوم القيامة فغشي عليه فلما أفاق قيل له ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الغلام فقال أخاف انه لقن

ورؤى هو وابن المعتمر يتساران ويبكيان فى المسجد فلما خرج قيل له
ما بالكما أكثرتما البكاء قال ذكرنا الزمان وغلبة أهل الباطل على أهل
الخير فكثر لذلك بكاؤنا وكان عند صلاته بالليل يسمع وقع دموعه على الحصير
كانه المطر وكان أثر البكاء يرى فى عينيه وخديه فرحمه الله ورضى عنه

(الفصل السادس عشر فى حفظ لسانه عما لا يعنيه وعن السوء ما أمكنه)

قال له بعض مناظريه يا مبتدع يا زنديق فقال غفر الله لك الله يعلم منى خلاف
ما قلت وانى ما عدلت به أحدا منذ عرفته ولا أرجو الا عفوه ولا أخاف الا
عقابه ثم بكى عند ذكر العقاب وسقط سريعا ثم أفاق فقال له الرجل اجعلنى
فى حل فقال كل من قال فىّ شيأ من أهل الجهل فهو فى حل وكل من قال فى
شيأ مما ليس فىّ من أهل العلم فهو فى حرج فان غيبة العلماء تبقى شيأ بعدهم
وقال الفضيل بن دكين كان هيو بالا يتكلم الا جوابا ولا يخوض فيما لا يعنيه
ولا يستمع اليه وقيل له اتق الله فانتفض وطأطأ رأسه ثم قال يا أخى جزاك الله
خيرا ما أحوج الناس كل وقت الى من يذكرهم الله تعالى وقت اعجابهم بما
يظهر على ألسنتهم من العلم حتى يريدوا الله تعالى باعمالهم وأنا أعلم أن الله عز
وجل يسألنى عن الجواب ولقد حرصت على طلب السلامة وكان اذا دخل
عليه داخل وقال كان كيت وكيت وأكثر قال له دع ما أنت فيه ما تقول فى
كذا وكذا فيقطع عليه كلامه ويقول اياكم ونقل ما لا يحبه الناس من
حديث الناس عفا الله عمن قال فينا مكروها ورحم الله من قال فينا جميلا
تفقهوا فى دين الله وذروا الناس من حديث الناس وما قد اختاروا لانفسهم
فيحوجهم الله تعالى اليكم وقيل له أيهما أفضل علقمة أو الاسود قال والله
ما قدرى أن أذكرهما الا بالدعاء والاستغفار اجلالا لهما فكيف أفضل
بينهما وقال ابن المبارك للثورى ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة ما سمعته
يغتاب عدوا له قط قال والله هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها
وقال شريك كان طويل الصمت كثير العقل والفقه قليل المجادلة للناس

قليل

قليل المحادثة لهم وقال ضميرة لم يختلف الناس ان أبا حنيفة كان مستقيم اللسان لم يذكر أحدا بسوء وقيل له الناس يتكلمون فيك ولا تتكلم فى أحد قال هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بكير بن معروف ما رأيت رجلا أحسن سيرة فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من أبى حنيفة

﴿الفصل السابع عشر فى كرمه﴾ قال غير واحد انه كان أكرم الناس مجالسة واكثرهم اكراما ومواساة لاصحابه ولمن جلس اليه ومن ثمة كان يزوج من احتاج وينفق عليه ويرسل الى كل منهم قدر منزله ورأى على بعض جلسائه ثيابا رثة فامره أن يجلس حتى يتفرق الناس ثم قال له خذ ما تحت المصلى فتحمل به فاذا هو ألف درهم وقال أبو يوسف كان لا يكاد يسئل حاجة الا قضاها ولما ختم حماد ولده سورة الفاتحة أعطى المعلم خمسمائة درهم وفى رواية ألف درهم فقال ما صنعت حتى أرسل الىّ هذا فاحضره واعتذر اليه وقال لا تستحقر ما علمت ولدى والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه اليك تعظيما للقرآن وكان يجمع ربح تجارته التى يرسلها الى بغداد من السنة الى السنة فيشترى بها الشيوخ المحدثين حوائجهم من نحو قوت وكسوة ثم يدفع الباقى اليهم فيقول أنفقوا فى حوائجكم ولا تحمدوا الا الله تعالى فانى ما أعطيتكم من مالى شيأ ولكن من فضل الله يجريه على يدى وقال وكيع قال لى أبو حنيفة ما ملكت أكثر من أربعة آلاف درهم منذ أربعين سنة الا أخرجته أى الاكثر وانما أمسك الاربعة لقول علىّ كرم الله وجهه أربعة آلاف ودونه نفقة ولولا أن أخاف أن أحتاج الى هؤلاء ما أمسكت منها درهما واحدا وقال سفيان بن عيينة كان أبو حنيفة كثير الصدقة وكان كل ما يستفيده لا يدع منه شيأ الا أخرجه ولقد وجه الىّ هدايا استوحشت من كثرتها فشكوت ذلك لبعض أصحابه فقال لو رأيت هدايا بعث بها الى سعيد بن أبى عروبة وما كان يدع أحدا من المحدثين الا بره برا واسعا وقال مسعر كان لا يشترى لنفسه وعياله كسوة أو فاكهة أو غيرهما

الا اشترى قبل ذلك لشيوخ العلماء مثل ذلك وقال أبو يوسف كان يغتم لمن يشكره على شئ أعطاه اياه و يقول اشكر الله تعالى فانما هو رزق ساقه الله اليك وكان يعولني وعيالي عشرين سنة واذا قلت له ما رأيت أجود منك يقول كيف لو رأيت حمادا وما رأيت أجمع للخصال المحمودة منه وكانوا يقولون أبو حنيفة زينه الله بالعلم والعمل والسخاء والبذل وأخلاق القرآن التي كانت فيه وقال شقيق كنت معه في طريق فرآه رجل فاختبأ منه وأخذ في طريق آخر فصاح به فجاء اليه فقال له لم عدلت عن طريقك قال لك علي عشرة آلاف درهم وقد طال علي الوقت وأعسرت فاستحييت منك فقال سبحان الله بلغ بك الامر كل هذا وهبته منك كله وأشهدت على نفسي فلا تتوار واجعلني في حل مما دخل في قلبك مني قال شقيق فعلمت انه زاهد على الحقيقة وقال الفضيل كان أبو حنيفة معروفا بكثرة الافضال وقلة الكلام واكرام العلم وأهله وقال شريك كان يغني من يعلمه و ينفق عليه وعلى عياله فاذا تعلم قال له لقد وصلت الى الغنى الاكبر بمعرفة الحلال والحرام وحبس ابراهيم بن عيينة على أكثر من أربعة آلاف درهم فاراد بعض اخوانه أن يجمع له من الناس فلما صار لابي حنيفة أمره برد ما أخذه من الناس وقضى عنه جميع دينه وأهدى اليه شخص شيأ فكافأه باضعافه فقال له لو علمت انك تفعل ذلك ما أهديت لك قال لا تقل هذا فان الفضل للسابق ألم تسمع الى ما حدثني به الهيثم عن أبي صالح يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئونه به فأثنوا عليه فقال له هذا الحديث أحب الي من جميع ما أملك

(الفصل الثامن عشر في زهده وورعه) قال ابن المبارك قدمت الكوفة فسألت عن أزهد أهلها فقالوا أبو حنيفة وأراد شراء جارية فمكث عشر سنين وفي رواية عشرين سنة يختار و يشاور من أي سبي سالم عن الشبهة يشترى ما رأيت أحدا أروع منه ما تقدرون أن تقولوا في رجل عرضت

عليه

عليه الاموال العظيمة فنبذها وضرب بالسياط فعبد على السراء والضراء
ولم يدخل فيما كان غيره يطلبه ويتمناه وقال مكي بن ابراهيم جالست
الكوفيين فلم أر فيهم أورع منه وقال الحسن بن صالح كان شديد الورع
هائبا للحرام تاركا للكثير من الحلال مخافة الشبهة ما رأيت فقيها أشد منه
صيانة لنفسه ولعلمه وكان جهاده كله الى قبره وقال النضر بن محمد ما رأيت
أشد ورعا منه وقال يزيد بن هرون كتبت عن ألف شيخ حملت عنهم العلم فما
رأيت فيهم أشد ورعا ولا أحفظ لسانا منه وقال الحسن بن زياد والله ما قبل
لاحد منهم أي الامراء ونحوهم جائزة ولا هدية وأرسل لشريكه متاعا فيه
ثوب معيب يبيعه ويبين ما فيه من العيب فباعه ولم يبين نسيانا وجهل المشترى
فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله وكان ثلاثين ألف درهم وفاصل
شريكه وذكر وكيع انه كان جعل على نفسه ان حلف بالله صادقا في
عرض كلام تصدق بدرهم فحلف فتصدق به ثم جعل على نفسه ان حلف
تصدق بدينار فكان اذا حلف تصدق بدينار وقال حفص صحبته ثلاثين سنة
فلم أره أعلن خلاف ما أسر وكان اذا دخلت عليه شبهة في شئ أخرج من
قبله ذلك ولو بجميع ماله وقال سهل بن مزاحم كنا ندخل عليه فلا نرى في بيته
الا البواري وقيل له تعرض عليك الدنيا ولك عيال فقال الله تعالى للعيال وانما
قوتي انا في الشهر درهمان فاجمعي لمن يسألني الله تعالى عن الجمع لهم ان
أطاعوه وان عصوه فان رزق الله غاد ورائح على الفريقين ثم قرأ وفي السماء
رزقكم وما توعدون وحج بعض أصحابه وخلف عنده جارية فغاب أربعة
أشهر فلما قدم قال له كيف وجدتها قال من قرأ القرآن وحفظ على الناس
دينهم يحتاج أن يصون نفسه عن الفتنة والله ما رأيتها منذ خرجت الى أن
رجعت فسألها عن اخلاقه فقالت ما رأيت ولا سمعت مثله ما رأيته اغتسل في
ليل ولا نهار من جنابة وما رأيته أفطر بالنهار قط وكان يأكل آخر الليل ثم
يرقد رقدة خفيفة ثم يخرج للصلاة وجاءته امرأة بثوب خز يبيعه لها بمائة فقال

هو خير من مائة بكم تقولين فزادت مائة مائة حتى قالت أربعمائة قال هو خير من ذلك قالت تهزأ بى قال هاتى رجلا فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم وقال لولا الخوف من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت أحدا يكون لهم الهنا وعلى الوزر ولما حبس ببغداد فى محنته الآتية أرسل لولده حماد يقول يا بنى ان قوتى فى الشهر درهمان فرة للسويق ومرة للخبز وقد حبست فعجله لى واختلطت غنم الكوفة بغنم مغصوبة فسأل كم تعيش الغنم قالوا سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين ورأى تلك الايام بعض الجند أكل لحما ورمى فضلته فى نهر الكوفة فسأل عن عمر السمك فقيل له كذا وكذا فامتنع من أكل السمك تلك المدة وقال بعض أئمة أصحابنا الشافعية الاستاذ أبو القاسم القشيرى فى باب التقوى فى رسالته التى هى أعظم كتب السادة الصوفية قدس الله أرواحهم كان أبو حنيفة لا يجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول كل قرض جر منفعة فهو ربا ويوافقه قول يزيد بن هرون ما رأيت أورع منه رأيته جالسا يوما فى الشمس عند باب انسان فقلت له يا أبا حنيفة لو تحولت الى الظل فقال لى على صاحب هذه الدار دراهم ولا أحب أن أجلس فى ظل فناء داره قال يزيد فاى ورع أكثر من هذا وفى رواية أنه سئل لما امتنع من الظل فقال لى على صاحب هذه الدار شئ فكرهت ان أستظل بظل حائطه فيكون ذلك جر منفعة وما أرى ذلك على الناس واجبا ولكن العالم يحتاج أن يأخذ لنفسه من عمله باكثر مما يدعو الخلق اليه والآثار فى ورعه كثيرة

﴿الفصل التاسع عشر فى أمانته﴾ قال رجل بالشأم للحكم بن هشام الثقفى أخبرنى عن أبى حنيفة قال كان أعظم الناس أمانة وأراده السلطان أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار ضربه على عذاب الله تعالى فقال ما رأيت أحدا يصفه بمثل ما وصفته به قال هو والله كما قلت وقال وكيع كان أبو حنيفة عظيم الامانة وقال أبو نعيم والفضيل بن دكين كان أبو حنيفة حسن الديانة عظيم الامانة

﴿ الفصل العشرون فى وفور عقله ﴾ روى الخطيب عن ابن المبارك ما رأيت رجلا أعقل منه وعن هرون الرشيد انه ذكر عنده يوما فترحم عليه وقال كان ينظر بعين عقله ما لا يراه غيره بعين رأسه وعن على بن عاصم قال لو وزن عقل أبى حنيفة بعقل نصف أهل الارض لرجح بهم وعن محمد بن عبد الله الانصارى كان يتبين عقله فى منطقه وفعله ومشيه ومدخله ومخرجه وعن خارجة لقيت ألفا من العلماء فوجدت العاقل منهم ثلاثة أو أربعة فذكره فى الثلاثة أو الاربعة وعن يزيد بن هرون أدركت الناس فما رأيت أحدا أعقل ولا أفضل ولا أورع من أبى حنيفة وقال أبو يوسف ما رأيت أحدا أكمل عقلا ولا أتم مروءة من أبى حنيفة وقال يحيى بن معين كان أبو حنيفة أعقل من أن يكذب ما سمعت أحدا يصفه ويذكره بمثل ما كان ابن المبارك يصفه ويذكره به من الخير وذكر حماد ابنه عنه انه احتبى بثوبه فى المسجد فسقط فى حجره من السقف حية عظيمة فلا والله ما تخلخل ولا تحول من مكانه ولا تغير ثم قال لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وأخذها بيده اليسرى فرماها بها عنه وقال الشافعى رحمه الله ما قامت النساء عن رجل أعقل من أبى حنيفة وقال بكر بن حبيش لو جمع عقله وعقل أهل زمنه لرجح عقله على عقولهم

﴿ الفصل الحادى والعشرون فى فراسته ﴾ منها أنه قال لجماعة من أصحابه أمورا ستقع لهم فكان كما قال منهم زفر ومنهم داود الطائى قال له أنت تتخلى للعبادة ومنهم أبو يوسف قال له أنت تميل الى الدنيا فكان كما قال وقال اذا رأيت الرجل طويل الرأس فاعلم أنه أحمق وقيل له كيف رأيت علماء المدينة قال ان أفلح منهم أحد فالاشقر الازرق يعنى مالك بن أنس ولقد بر وصدق فى فراسته لان مالكا بلغ من العلم والفلاح ما لم يلحقه أحد من أهل المدينة فى عصره وقال اذا رأيت أحدا جيد الحفظ فاستمسك بجمعه واذا رأيت انسانا طويل اللحية فاستمسك بحمقه واذا رأيت طويلا عاقلا فاستمسك به فانه قلما تجد طويلا عاقلا ولما حمل سفيان الثورى ومسعر وأبو حنيفة وشريك الى

المنصور قال لهم أبو حنيفة اخمن فيكم تخمينا أما أنا فاحتال لنفسي وأما سفيان فيهرب من الطريق وأما مسعر فيجن نفسه وأما شريك فيقع فلما سار وافى الطريق قال سفيان أريد أن أتبرز فخرج معه الجندي فصار الى حائط فجلس خلفه فمرت سفينة شوك فقال لهم ان هذا الذي خلف الحائط يريد أن يذبحني فقالوا ادخل السفينة فدخل وغطوه بالشوك فمر على الجندي فلم يره فلما أبطأ ناداه يا أبا عبد الله فلم يجبه فجاءه فلم يره فرجع الى صاحبه فضربه وشتمه فلما دخل الثلاثة على المنصور بادر اليه مسعر فصافحه وقال كيف حالك يا أمير المؤمنين وكيف جوارك وكيف داوبك تولني يا أمير المؤمنين القضاء فقال رجل على رأسه هذا مجنون قال صدقت اخرجوه فخلى سبيله فدعا أبا حنيفة فجاء فقال يا أمير المؤمنين أنا النعمان بن ثابت بن مملوك الخزاز وأهل الكوفة لا يرضون أن يلي عليهم ابن مملوك خزاز قال صدقت فذهب شريك يتكلم فقال اسكت فما بقي أحد غيرك خذ عهدك فقال يا أمير المؤمنين ان في نسيانا فقال عليك بمضغ اللبان قال وبي خفة قال تصنع لك الفالوذج تأكله قبل أن تجلس في مجلس الحكم قال اني أحكم على الصادر والوارد قال احكم ولو على ولدي قال افعل فكان كما ذكر أبو حنيفة ومر عليه بالمسجد رجل فتفرس فيه انه غريب في كمه حلاوة ومعلم صبيان فكان كذلك فسئل فقال رأيته ينظر يميناً وشمالاً وكذلك الغريب ورأيت الذباب على كمه ورأيته ينظر للصبيان

الفصل الثاني والعشرون والثالث والعشرون في عظيم ذكائه وأجوبته المسكتة عن الاسئلة المبهتة

من ذلك ان رجلاً من يكرهه سأله ما تقول في رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف من النار ولا يخاف الله تعالى ويأكل الميتة ويصلي بلا ركوع ولا سجود ويشهد بما لا يرى ويبغض الحق ويحب الفتنة ويفر عن الرحمة ويصدق اليهود والنصارى فقال ألك بهذه علم قال لا ولكن لم أجد شيئاً هو أشنع من هذا فسألت عنه فقال أبو حنيفة لاصحابه ما تقولون في هذا الرجل قالوا شر هذا الرجل هذه صفة كافر فتبسم وقال هو من أولياء

الله تعالى حقا ثم قال للرجل ان أنا أخبرتك انه كذلك تكف عني لسانك وعن
الحفظة مايضرك قال نعم قال هو يرجو رب الجنة ويخاف رب النار ولا
يخاف الله تعالى ان يجور عليه في عدله وسلطانه ويأكل ميتة السمك ويصلي
على الجنازة أو على النبي عليه السلام ومعنى شهادته بما لا يرى أنه يشهد أن
لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويبغض الحق الذي هو الموت ليطيع
الله تعالى والفتنة المال والولد والرحمة المطر ويصدق اليهود في قولهم
ليست النصارى على شئ والنصارى في قولهم ليست اليهود على شئ فقام
الرجل وقبل رأسه وقال أشهد أنك على الحق ولما مرض أبو يوسف قال أبو
حنيفة ان مات هذا الغلام لم يخلفه أحد على وجه الارض فلما عوفي أعجب
بنفسه وعقد له مجلسا في الفقه فانصرفت وجوه الناس اليه فلما بلغ أبا
حنيفة ذلك قال لبعض من عنده اذهب الى مجلس يعقوب وقل له ما تقول في
قصار دفع اليه رجل ثوبا ليقصره بدرهمين ثم طلب ثوبه فانكره القصار ثم عاد
له وطلبه فدفعه له مقصورا أله أجرة فان قال نعم قل له أخطأت أولا قل له
أخطأت فسار اليه الرجل فسأله فقال نعم له أجرة فقال له أخطأت فنظر
ساعة فقال لا فقال أخطأت فقام من ساعته لابي حنيفة فلما رأه قال ما جاء
بك الا مسئلة القصار قال أجل قال سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد
لنفسه مجلسا يتكلم في دين الله تعالى وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسئلة
من الاجارات فقال علمني قال ان كان قصره بعد ما غصبه فلا أجرة له لانه
انما قصره لنفسه أو قبل غصبه فله الاجرة لانه قصر لصاحبه وحضر مع
العلماء وليمة رجل زوج ابنتيه من أخوين فخرج الولي وهو يقول أصبنا
مصيبة عظيمة غلطنا فزفت الى كل واحد غير امرأته وأصابها قال سفيان لا
بأس بذلك كما حكم به علي كرم الله وجهه في ذلك بعينه كان معاوية وجه اليه
فيها فقال أرى أن على كل المهر بما أصاب من المرأة وترجع كل الى زوجها
فاستحسن الناس منه ذلك وأبو حنيفة ساكت فقال له مسعر قل فيها قال

سفيان وماعسى أن يقول فيها خلاف هذا فقال أبو حنيفة على بالغلامين فاحضرا فقال لكل واحد منهما أتحب أن تكون عندك التى زفت اليك قال نعم قال لكل واحد منهما فما اسم امرأتك التى عند أخيك قال هى فلانة قال قل هى طالق منى ثم زوج كلا التى مسها وأمرهم بتجديد عرس آخر فعجب الناس من فتياه بذلك حتى قام مسعر فقبله وقال تلومونى على حبه وسفيان ساكت لا يقول شيأ *(تنبيه)* ماحكم به سفيان عن على كرم الله وجهه لا ينافى ماحكم به أبو حنيفة بل كلا الحكمين حق فاما وجه ماحكم به سفيان فهو ان هذا الوطء وطء بشبهة وهو يجب فيه المهر ولا يرفع النكاح وأما وجه ماحكم به أبو حنيفة فهو ان الحكم وان كان كما قاله سفيان لكن ربما ترتبت عليه مفسدة أى مفسدة لان كلا لو رجعت الى زوجها وقد وطئها الآخر واطلع على محاسنها الباطنة خشى أن تكون نفسه متعلقة بها وانه لا يسلو عنها بل يزداد تعلقه بها اذا أخذت منه وصارت تحت غيره فاقتضت الحكمة الظاهرة التى ألهمها الله لابى حنيفة وأطلعه على مايخشى وقوعه من الفساد لو بقيتا على فتوى سفيان ان يحكم بطلاق كل زوجته التى وطئها غيره وان يتزوج كل من وطئها ولا يحتاج لعدة لان لصاحب عدة وطء الشبهة ان يعقد بالموطوأة فيها ولاجل هذه المصلحة الظاهرة التى لا ينكرها أحد سكت سفيان على فتوى أبى حنيفة واستحسنها الناس منه حتى قبله مسعر لاجلها وكان فى جنازة ابن هاشمى سيد فيها وجوه أهل الكوفة وعلماؤهم فبرزت أمه كاشفة رأسها ووجهها وألقت عليه ثوبها من شدة وجدها فحلف زوجها بالطلاق لترجعن وحلفت بعتق مماليكها ان لا ترجع حتى يصلى عليه فوقف الناس ولم يتكلم فيها أحد فسأل والده أبا حنيفة فاستعاد منه ومنها حلفهما ثم أمره بالصلاة عليه ثم أمرها بالرجوع فقال له ابن شبرمة عجزت النساء أن يلدن مثلك ماعليك فى العلم كلفة وسأله رجل عن فتح خوخة فى حائطه فقال افتح ماشئت ولا تطلع على جارك وشكاه الى ابن أبى

ليلى فمنعه فعاد الى أبى حنيفة فقال له افتح فيه بابا فمنعه ابن أبى ليلى أيضا فعاد الى أبى حنيفة فقال كم قيمة حائطك قال ثلاثة دنانير قال اهدمه ولك على الثلاثة فجاء ليهدمه فرفعه جاره الى ابن أبى ليلى فقال يريد هدم حائطه وتسألنى أن أمنعه اذهب فاهدمه واصنع ماشئت فى جدارك فقال له الجار كان فتح الخوخة أهون على قال اذا كان يذهب الى من يدله على خطئى فكيف اصنع اذا تبين الخطأ وسأله ابن المبارك عن درهمين لرجل اختلطا بدرهم لآخر ثم ضاع منها اثنان لا يعلم من أيهما فقال الدرهم الباقى لهما أثلاثا قال ابن المبارك فلقيت ابن شبرمة فسألته فقال سألت عنها أحدا قلت أبا حنيفة قال قال لك الدرهم الباقى لهما أثلاثا قلت نعم قال أخطأ العبد ولكن درهم من الدرهمين الضائعين يحيط العلم انه من الدرهمين والدرهم الآخر منهما جميعا فالباقى بينهما فاستحسنت ما قال فلقيت أبا حنيفة ولو وزن عقله بعقل نصف أهل الارض لرجحهم فقال لى لقيت ابن شبرمة فقال لك قد أحاط العلم ان أحد الدرهمين ضائع و بقى الدرهم الباقى فهو بينهما قلت نعم قال ان الثلاثة حيث اختلطت وجبت الشركة بينهما فصار لصاحب الدرهم ثلث كل درهم ولصاحب الدرهمين ثلثا كل درهم فأى درهم ذهب ذهب بحصتهما *(تنبيه)* ماقاله أبو حنيفة ظاهر عند من يسلم له ان الاختلاط مع عدم التميز يقتضى الشركة على الشيوع وماقاله ابن شبرمة له وجه عند من لا يرى الشركة ووجهه ان أحد الدرهمين الضائعين يختص بصاحب الدرهمين يقينا و بقى لكل درهم يحتمل انه الموجود ولا مرجح لاحدهما فقسم الدرهم الباقى بينهما وكان بجواره فتى فأتى مجلسه فشاوره فى التزوج من قوم مخصوصين طلبوا منه فوق وسعه فامره بالتزوج بعد الاستخارة ففعل ثم أبوا أن يحملوها اليه الا بعد وفاء كل المهر فذهب اليه وأعلمه بذلك فقال احتل واقترض حتى تدخل باهلك وأقرضه فى جملة من أقرضه فلما دخل بها قال له ما عليك أن تظهر الخروج بها الى موضع بعيد ففعل فاشتد على أهلها فجاؤا أبا حنيفة

يشكونه و يستفتونه فافتاهم بان له أن يخرجها الى حيث يشاء قالوا ما يمكننا أن ندعها تخرج معه قال فارضوه بردما أخذتموه منه فرضوا منه فقال له انهم رضوا بان يعطوك ما أخذوه من المهر و يبرئوك من الباقى قال أريد فوق ذلك فقال له أيما أحب اليك هذا والا أقررت لرجل بدين فلا يمكن لك السفر حتى توفيه فقال الله الله لا يسمعوا بهذا فلا يعطونى شيأ و جاءته امرأة فقالت مات أخى وخلف ستمائة دينار فأصابنى دينار واحد قال من قسم فريضتكم قالت داود الطائى قال ليس لك الا هو أليس أخوك خلف بنتين وأما وزوجة واثنى عشر أخا وأختا قالت نعم قال هو كذلك وحضر يوما مجلس ابن أبى ليلى فاذن للخصماء فى الدخول ليريه امضاه فى القضاء والحكم فادعى رجل على آخر أنه قال له يا ابن الزانية فقال القاضى للمدعى عليه ما تقول فقال له أبو حنيفة كيف تسأله الجواب وليس هو الخصم وانما الخصم أمه فهل ثبتت وكالته عنها قال لا قال فاسأله أحية أمه أم ميتة فسأله فقال ميتة قال البينة فاقامها بموتها فسأل القاضى المدعى عليه فقال له سل المدعى هل لامه وارث غيره فسأله قال لا قال البينة بذلك فأقامها فسأل القاضى المدعى عليه فقال سل المدعى أمه حرة أم أمة فقال حرة قال البينة بذلك فاقامها فسأل القاضى المدعى عليه فقال سل المدعى هل هى مسلمة أم ذمية قال مسلمة قال البينة بذلك فاقامها فقال أبو حنيفة شأنك الآن ولما نزل قتادة الكوفة قال لا يسألنى أحد عن مسئلة عن الحلال والحرام الا أجبته فقال له أبو حنيفة ما تقول فيمن غاب عن أهله أعواما ونعى اليها فظنت موته فتزوجت فقدم بعد ولادتها فنفاه الاول وادعاه الثانى أكل منهما قذفها أم المنكر للولد ثم قال أبو حنيفة ان قال فيها برأيه ليخطئن وان قال فيها حديثا ليكذبن فقال قتادة أوقعت هذه المسئلة قالوا لا قال فلم تسألون عما لم يكن فقال أبو حنيفة ان العلماء يستعدون للبلاء و يتحرزون منه قبل نزوله ليعرفوا الدخول فيه والخروج منه فقال قتادة دعوا هذا واسألونى عن التفسير قال أبو حنيفة من الذى عنده من علم الكتاب قال آصف بن برخيا

كاتب

كاتب سليمان وكان يعرف الاسم الاعظم قال فهل كان سليمان يعرفه أيضا قال لا قال أيجوز أن يكون فى زمن نبى من هو أعلم منه قال لا والله لاحدثتكم بشئ من التفسير سلونى عما اختلف فيه العلماء فقال أبو حنيفة أمؤمن أنت قال أرجو قال ولم قال لقوله تعالى والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هل لا قلت كما قال ابراهيم لما قال له أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى فقام قتاده مغضبا وحلف أن لا يحدثهم وقال رجل لامرأة محتلة شيأ فقالت له يا ابن الزانيين فشكيت الى ابن أبى ليلى فحدها حدين فى المسجد قائمة فقال أبو حنيفة أخطأ من ستة أوجه أقام الحد على مجنونة وفى المسجد وضرب المرأة قائمة وهى انما تضرب جالسة وأقام عليها حدين والقذف بكلمة واحدة ولو قذف قوما بكلمة لم يلزمه الا حد واحد وصربها والحق للابوين وهما غائبان وحد الثانى قبل البرء من الحد الاول فشكاه للامير فمنعه الافتاء ثم وردت مسائل لعيسى بن موسى فسئل عنها فاجاب بما استحسنه عيسى فاذن له فجلس فى مجلسه وقال له الضحاك تب من تجويزك الحكمين قال تناظرنى قال نعم قال فان اختلفنا فى شئ فمن يكون بينى و بينك قال اجعل أنت من شئت فقال لبعض أصحاب الضحاك احكم بيننا ثم قال للضحاك أترضى هذا حكما بينى و بينك قال نعم قال أبو حنيفة فأنت قد جوزت الحكمين فانقطع الضحاك وسأله عطاء عن قوله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم فقال رد الله تعالى على أيوب أهله ومثل أهله وولده فقال ويرد الله على نبى ولد اليس له من صلبه قال ما سمعت فيها عافاك الله قال رد عليه أهله وولده من صلبه ومثل أجور ولده فقال هذا حسن *(تنبيه)* ما المانع أن المراد ان الله تعالى آتاه عدد أولاده ومثل ذلك العدد من زوجته التى قال الله تعالى فى حقها (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) وهذا هو الظاهر من الآية كما لا يخفى وقال له رجل انى حلفت أن لا أكلم امرأتى أو تكلمنى وحلفت أن لا تكلمنى أو أكلمها فقال لا حنث عليكما فسمع سفيان الثورى ذلك فجاء مغضبا وقال تبيح الفروج من

أين لك هذا قال لما شافهته باليمين بعد ما حلف كانت مكالمة له فسقطت يمينه
فأن كلمها فلا حنث عليه ولا عليها لانها كلمته وكلمها بعد اليمين فسقطت عنهما
فقال له سفيان انه ليكشف لك من العلم عن شئ كلنا عنه غافلون وسأله ابن
المبارك عن وقع فى قدر طبيخه طائر فمات فقال لاصحابه ماترون فرووا له عن
ابن عباس رضى الله عنهما أنه يهراق المرق و يغسل اللحم و يؤكل فقال هذا
ان وقع فى حال سكونها فان وقع فى حال غليانها ألقى اللحم فقال له ابن المبارك
لم قال لوصول النجس الى باطنه بخلاف الاول لانه انما وصل الى ظاهره فقط
فاعجبه ذلك ونسى انسان ماله دفنه فجاء اليه فقال له ليس هذا فقها فأحتال لك
ولكن اذهب فصل الليلة الى الصبح فتتذكر فصلى الرجل فذكر دون ربع
الليل فجاءه فاخبره فقال لقد علمت ان الشيطان لا يدعك تصلى ليلة ويحك هلا
أتممت ليلتك شكر الله تعالى وشكا اليه مودع انكار وديعه لوديعته وحلف
بالله وأكد انه لم يودعه فقال لا تخبر بجحوده أحدا فارسل أبو حنيفة الى وديعه
فجاء اليه فلما خلا بالوديع قال له ان هؤلاء بعثوا يستشيرون فى رجل يصلح
للقضاء فهل تنشط فتمانع الرجل قليلا فزاد فى ترغيبه ثم قال للمودع اذهب
فقل له أحسبك نسيت أودعتك كذا بعلامة كذا فقال له ذلك فدفع اليه
وديعته فرجع الوديع لابى حنيفة يطلب أن يعينه القضاء فقال له انى أرفع من
قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا ودخل اللصوص على رجل
فاخذوا ثيابه واستحلفوه بالطلاق الثلاث أن لا يعلم بهم أحدا فحلف ثم أصبح
يرى ثيابه تباع فلا يمكنه أن يتكلم فسأل أبا حنيفة فقال أحضرنى من أكابر
حيك فامرهم أن يجتمعوا جميعهم فى موضع و يخرجوا واحدا واحدا و يقال
له هذا لصك فان لم يكن قال لا وان كان سكت ففعلوا فسكت فعرف اللص
فرد عليه جميع ما أخذ منه وأبر فى يمينه لانه لم يخبر بهم أحدا وسئل عن تنحنح
المؤذنين عند الاقامة أله أصل قال هو اعلام منهم بانهم يريدون أن يقيموا وقد
روى عن على كرم الله وجهه انه كان له مدخل من رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم بالليل قال فكنت اذا جئت وهو فى الصلاة أذنى بالتنحنح وتزوج رجل
بامرأة سرا فاتت بولد فجحده فرفعته الى ابن أبى ليلى فقال لها هاتى بينة على
النكاح فقالت انما تزوجنى على ان الله تعالى الولى والشاهدان الملكان
فطردها القاضى فاتت أبا حنيفة وأخبرته فقال لها اذهبى للقاضى وقولى له
أحضره لاقيم عليه بينة فاذا أحضره قولى له قل انا كافر بالولى والشاهدين فلم
يستطع أن يقول ذلك وأقر بالنكاح فالزمه المهر وألحق به الولد *(تنبيه)*
لا يتوهم من ذلك ان النكاح خلا عن الولى والشهود معا فانه حينئذ باطل
باجماع من يعتد به وانما الظاهر انه كان سرا بشاهدين مجهولين فلما لم تقدر
المرأة على اثباته قالت ذلك ثم أخبرها أبو حنيفة رحمه الله بما يلجئه الى الاقرار
ان صدقت وكان ممن يخشى الله فكان الامر كما ألهم رحمة الله عليه وطلب من
ابن شبرمة ان يثبت له وصية له فقبل بينته ثم قال له احلف ان شاهديك
شهدا بحق قال ليس على يمين كنت غائبا فقال ضلت مقايسك قال ما تقول فى
أعمى شج فشهد له شاهدان بذلك أعليه يمين مع شاهديه انهما شهدا له بحق
وهو لم يرفانقطع القاضى وحكم له بالوصية وأنكر يحيى بن سعيد قاضى الكوفة
اجماع أهلها على رأى أبى حنيفة فارسل اليه أصحابه يناظرونه منهم زفر وأبو
يوسف فقال له ما تقول فى عبد بين اثنين أعتقه أحدهما قال لا يجوز لانه ضرر
وهو منهى عنه قال فان أعتقه الآخر قال حاز قال ناقضت ان كان عتق الاول
لغوا فقد أعتقه الثانى وهو عبد فلم ينفذ فسكت وانقطع وقال الليث بن سعد
كنت أسمع بذكر أبى حنيفة وأتمنى رؤيته فانى بمكة اذ رأيت الناس مجتمعين
على شخص فسمعت انسانا ينادى يا أبا حنيفة فعلمت انه هو فسأله رجل فقال له
ان لى مالا كثيرا وولدا أزوجه وأنفق عليه المال الكثير فيطلق فيذهب مالى
فهل لى من حيلة قال ادخل به سوق الرقيق واشتر من يعجبه ثم زوجه اياها فان
طلقها رجعت مملوكة لك وان أعتقها لم ينفذ عتقه قال الليث فوالله ما أعجبنى
جوابه كما أعجبنى سرعة جوابه وشك شخص فى طلاق زوجته فسأل شريكا

فقال طلقها ثم راجعها والثورى فقال قل ان كنت طلقتها فقد راجعتها وزفر فقال هى امرأتك حتى تتيقن طلاقها وأبا حنيفة فقال أما الثورى فاتاك بالورع وأما زفر فاتاك بعين الفقه وأما شريك فهو كرجل قلت له لا أدرى أصاب ثوبى بول أولا فقال بل على ثوبك فاغسله * (تنبيه) * لا خلاف بين هؤلاء الائمة فى المعنى للاجماع على ان من شك فى طلاق زوجته لا يلزمه شئ بل هو فى نكاحه ظاهرا وانما الخلاف فى الاولى فرأى شريك ايقاعه لانه مع الشك غير جازم بالرجعة وتعليقها فيه خلاف والثورى الرجعة مع التعليق ولم ينظر للخلاف فيه وأعرض عن ذلك زفر وبين أصل الحكم وهو عدم الوقوع وكان الربيع حاجب المنصور معاديا له فقصد أن يرميه عنده فقال له انه يخالف جدك ابن عباس فى قوله ان الاستثناء لا يشترط اتصاله فقال يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم أنه لا بيعة لك فى رقاب جندك لانهم يحلفون لك ثم يرجعون بمنازلهم ويستثنون فتبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لابى حنيفة فلما خرج قال له الربيع أردت قتلى قال لا ولكنك الذى أردت قتلى فخلصتك وخلصت نفسى وقال بعض أعدائه اليوم أقتله عند المنصور ثم سأله بين يديه فقال يا أبا حنيفة ان الرجل منا يدعوه أمير المؤمنين فيأمره بضرب عنق الرجل لا ندرى ما هو أيسعه أن يضرب عنقه قال أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل قال بالحق قال انفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة ان هذا أراد أن يوثقنى فربطته وسرق طاوس مملوك لجاره فشكا اليه فقال اسكت ثم غد للمسجد فلما اجتمع أهله قال أما يستحى من يسرق طاوس جاره ثم يجئ يصلى وأثر ريشه برأسه فمسح رجل رأسه فقال له يا هذا رد على صاحبك طاوسه فرد وكان الاعمش يغص منه لحدة فى خلقه فوقع له ان حلف بطلاق امرأته ان أخبرته بفناء الدقيق أو كتبت به أو أرسلت أو ذكرت لاحد ليذكر له أو أومأت فى ذلك فتحيرت فى ذلك فقيل لها عليك بابى حنيفة فقصت عليه ذلك فقال لها اذا فرغ جراب الدقيق شديه بثوبه وهو نائم فاذا استيقظ

رآه وعلم فناء الدقيق ففعلت فعلم فناءه وجعل يقول هذا والله من حيل أبي حنيفة كيف نفلح وهو حي وهو يفضحنا في نسائنا يريهن عجز نا ورقة فهمنا وحلف رجل ليقربن امرأته نهارا في رمضان فتحير الناس في المخرج من ذلك فقال يسافر بها ويقربها حينئذ وتنبأ في زمنه رجل قال أمهلوني حتى آتي بعلامة فقال من طلب منه علامة كفر لانه يطلبه وذلك مكذب لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي وتزوج أخرى على زوجته أم حماد فقالت لابد ان تطلقها ثلاثا والا لا أصاحبك فاحتال وأمر الجديدة ان تدخل له عندها وتسأله أيحل للمرأة ان تهجر زوجها فدخلت وسألته عن ذلك فقالت أم حماد لابد ان تطلق الجديدة فقال كل امرأة لي خارج هذه الدار فهي طالق ثلاثا فرضيت ولم تطلق الجديدة وقال له رافضي من أشد الناس قال اما على قولنا فعلى كرم الله وجهه لانه علم ان الحق لابي بكر فسلمه له وأما على قولكم فابو بكر لانه أخذه من علي قهرا عليه ولم يمكن عليا ان ينتزعه منه فتحير الرافضي وسئل عمن طلق ثلاثا ان اغتسل اليوم من جنابة ثم طلق ثلاثا ان ترك صلاة من صلوات يومه هذا ثم طلق ثلاثا ان لم يجامع امرأته في هذا اليوم فقال يصلي العصر ثم يجامعها ثم يغتسل بعد الغروب ويصلي المغرب والعشاء أراد بصلوات اليوم الخمس وسئل عمن قال لزوجته على سلم ان صعدت فانت طالق وان نزلت فانت طالق ما الحيلة فيها قال يحمل السلم وهي عليه فيوضع بالارض أو تحمل بغير ارادتها فتوضع بالارض وعمن بيد امرأته قدح ماء فقال ان شربتيه أو صببتيه أو وضعتيه أو ناولتيه انسانا فانت طالق قال تنزل فيه ثوبا ينشفه به وحلف رجل ان لا يأكل البيض ثم حلف ليأكلن ما في كم فلان فاذا هو بيض فقال يحضنه دجاجة فاذا بقي فرخا شواه وأكله أو طبخه وأكله كله مع المرقة *(تنبيه)* الحيلة عندنا في ذلك أن يجعله في ناطف ويبر لانه صدق عليه انه أكل ما في كمه ولم يصدق عليه انه أكل بيضا لاستهلاكه وولدت امرأة ولدين ظهرهما

واحد فمات أحدهما فقال علماء الكوفة يدفنان جميعا وقال أبو حنيفة يدفن الميت ويتوصل بالتراب الى قطع الاتصال ففعلوا فانفصل الحى وعاش وكان يسمى مولى أبى حنيفة واجتمع فى المدينة بمحمد بن الحسن بن على رضى الله عنهم فقال له أنت الذى خالفت أحاديث جدى صلى الله عليه وسلم بالقياس فقال معاذ الله من ذلك اجلس فان لك حرمة لحرمة جدك عليه أفضل الصلاة والسلام فجلس وجئ أبو حنيفة بين يديه فقال له الرجل أضعف أم المرأة فقال المرأة قال كم سهمها قال نصف سهم الرجل قال لو قلت بالقياس لقلبت الحكم ثم قال الصلاة أفضل أم الصوم قال الصلاة قال لو قلت بالقياس لامرت الحائض بقضائها دون قضائه ثم قال البول نجس أم النطفة قال البول قال لو قلت بالقياس لاوجبت الغسل من البول دون المنى معاذ الله ان أقول على غير الحديث بل أخدم قوله فقام وقبل وجهه وقدم غريب الكوفة بزوجة فائقة الجمال فعلق بها كوفى وادعى انها زوجته وصدت عنه وعجز زوجها عن اثبات نكاحه وعرضت المسئلة على أبى حنيفة فذهب هو وابن أبى ليلى وجماعة الى رحل الزوج وأمر نسوة ان يدخلنه فعوت عليهن كلابه ثم أمر المرأة أن تدخل فتبصبص حولها فقال الامام ظهر الحق فاعترفت المرأة ونظير ذلك مانقل عن علماء مذهبه انه اذا خلا بامرأته ومعه كلبه صحت الخلوة وتأكد الصداق أو كلبها لم يتأكد وأراه ابن هبيرة فصا مكتوبا عليه عطاء بن عبد الله وقال أكره التختم به لما كان اسم غيرى عليه ولا يمكن حكه فقال دور رأس الباء يكون عطاء من عند الله فتعجب من سرعة استخراجه وقال له أكثر المجىء الينا قال وما أصنع عندك ان قربتنى فتنتنى وان أقصيتنى أخزيتنى وليس عندى ما اخافك عليه وقال ذلك أيضا لما قال له كل من المنصور وأمير الكوفة عيسى بن موسى لو أكثرت المجىء الينا ودخل الضحاك المروزى الكوفة وأمر بقتل الرجال كلهم فخرج اليه أبو حنيفة فى قميص ورداء فقال له لم امرت بقتل الرجال قال لانهم مرتدون قال ان كان

دينهم غير ماهم عليه فارتدوا حتى صاروا الى ماهم عليه أم كان هذا دينهم قال
أعد ما قلت فاعاد فقال الضحاك أخطأنا فعمدوا سيوفهم ونجا الناس وفى
رواية أن الخوارج لما دخلوا الكوفة ورأيهم تكفير كل من خالفهم قيل لهم
عن أبى حنيفة هذا شيخ هؤلاء فاحضروه وقالوا تب من الكفر فقال أنا تائب
من كل كفر فقيل لهم انه قال أنا تائب من كفركم فاخذوه فقال لهم أبعلم قلتم أم
بظن قالوا بظن قال ان بعض الظن اثم والاثم كفر عندكم فتوبوا من الكفر قالوا
تب أنت أيضا من الكفر ﴿تنبيه﴾ وقع لبعض حساد أبى حنيفة الذين
ينتقصونه بما هو برىء منه انه ذكر من مثالبه انه كفر مرتين واستتيب مرتين
وانما وقع له ذلك مع الخوارج فارادوا انتقاصه به وليس بنقص بل هو غاية
فى رفعته اذ لم يوجد أحد يحاجهم غيره رحمة الله عليه وأوصى رجل الى آخر
وسلمه كيسا فيه ألف دينار وقال اذا كبر ولدى فاعطه ما تحب فلما كبر أعطاه
الكيس دون ما فيه فجاء الولد لابى حنيفة وذكر له الخبر فدعا الوصى وقال أعطه
الالف لان الذى تحبه هو الذى أمسكته اذ كل أحد غالبا انما يمسك الذى
يحبه ويعطى الذى لا يحبه وكان بعض المحدثين يقع فيه فوقع فى ورطة لم يرم من
يخلصه منها غيره وهى أنه قال لزوجته ان سألتنى الليلة الطلاق ولم أطلقك
فأنت طالق وقالت ان لم أسألك الليلة الطلاق فعبدى حر فقال لها الامام سليه
الطلاق وقال له قل أنت طالق ان شئت ثم قال اذهبا فلا حنث عليكما وقال له
تب الى الله من الوقيعة فيمن حمل اليك العلم فتاب وكانا بعد يدعوان له دبر كل
صلاة وحلف شخص بالطلاق من زوجته ان لم تطبخ له قدرا فيها مملوك ملح
لا يظهر له أثر فى الطعام المطبوخ فسئل عنها فقال تطبخ بيضة فى قدر وتلقى
عليه الملح المحلوف عليه وأكثر منه وأراد جماعة من الدهرية قتله فقال
حتى نبحث فى مسئلة ثم شأنكم وما أردتم فقال ما تقولون فى سفينة مشحونة
بالاثقال فى بحر ذى موج متلاطم بلا ملاح أيجوز هذا قالوا هذا محال قال
أيجوز فى العقل مثل وجود هذه الدنيا مع تباين أطرافها واختلاف أحوالها

وأمورها وتغيير أعمالها وأفعالها من غير صانع حكيم ومدبر عليم فتابوا جميعا
وغمدوا سيوفهم وجاءه رجل له على آخر ألف أنكره وأراد الحلف وليس مع
المدعى الا شاهد واحد وعلم أبو حنيفة صدقه فأمره أن يهبه الحاضر بحضرة
شاهده ثم أمر الحاضر بالدعوى على المدين بالالف وأمر الشاهد والواهب
أن يشهدا له بالالف ففعلا فحكم القاضي بالالف وهذا الباب طويل وفيما
ذكرناه كفاية على أن في بعض ما لم نذكره خللا أو نزاعا في ثبوته أو جب حذفه
﴿ الفصل الرابع والعشرون في حلمه ونحوه ﴾ قال يزيد بن هرون ما رأيت
أحلم منه كان له فضل ودين وورع وحفظ لسان واقبال على ما يعنيه وقال
غيره شتمه رجل وأطال بنحو يازنديق فقال له غفر الله لك هو يعلم مني خلاف
ما تقول وقال عبد الرزاق ما رأيت أحلم منه كلمه بمسجد الخيف والناس
حوله فسأله بصري عن مسئلة فأجابه فاعترضه بأن الحسن خالفه فقال أخطأ
الحسن فقال له رجل يا ابن الزانية أنت تقول أخطأ الحسن فصاح الناس
وهموا به فسكنهم أبو حنيفة وأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال نعم أخطأ الحسن
وأصاب ابن مسعود فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول
ما حازيت أحدا بسوء قط ولا لعنت أحدا ولا ظلمت مسلما ولا معاهدا ولا
غششت أحدا ولا خدعته وقيل له ان الثوري ينال منك ويتكلم فيك فقال
غفر الله له ثم مدحه وكان بجواره اسكاف اذا سكر يتغنى (شعر)

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

ففقد صوته ليلة فقيل أخذه العسس فركب للامير فزاد في تعظيمه وأمر
باطلاقه واطلاق كل من مسك تلك الليلة وما بعدها فركب راجعا والاسكاف
يمشي خلفه فقال يا فتى أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا ثم تاب
وحسنت توبته ولازم مجلسه حتى صار فقيها وقال الوليد بن القاسم كان كريم
الطبع عظيم التفقد والمواساة لاصحابه وقال عصام لم يكن لاحد من الحق كما
لابي حنيفة على أصحابه وكان الذباب اذا وقع على أحد منهم يرى مشقة ذلك

عليه

عليه وقيل له عن بعضهم أنه سقط من سطحه فصاح صيحة سمعها من فى
المسجد وقام فزعا عليه حافيا ثم بكى وقال لو أمكننى حمل ذلك حملته وكان يأتيه
صباحا ومساء حتى برئ وجاءه رجل فقال انى وضعت كتابا على خطك الى فلان
فاعطانى أربعة آلاف درهم فقال أبو حنيفة ان كنتم منتفعون بهذا فافعلوه
وقال أبو معاذ كان أبو حنيفة مع معرفته بقربى من سفيان وبينهما ما بين
الاقران يقربنى ويقضى حوائجى وكان حليما وقورا قد جمع الله فيه
خصال الشريفة وشتمه رجل وهو فى درسه وأكثر فما التفت اليه ولا قطع
كلامه ونهى أصحابه عن مخاطبته فلما فرغ وقام تبعه الى باب داره فقام على
بابه وقال للرجل هذه داري ان كان بقى معك شئ فاتمه حتى لا يبقى فى نفسك
شئ فاستحى الرجل وفى قصة أخرى انه تبعه فلما دخل جعل يسبو يشتم فلم
يجبه أحد فقال أتعدوننى كليا فقيل من داخل الدار نعم وقال أبو يوسف كان
يحمل والدته على حمار الى مجلس عمر بن ذر كراهية ان يرد أمرها وقال أبو
حنيفة ربما ذهبت بها الى مجلسه وربما أمرتنى أن أذهب اليه وأسأله عن
مسئلة فآتيه وأذكره له وأقول له ان امى أمرتنى أن أسألك عنه فيقول
وأنت تسألنى عن هذا فاقول هى أمرتنى فيقول قل لى كيف هو حتى أخبرك
فاخبره بالجواب ثم يخبرنى به فآتيها وأخبرها عنه بما قال ونظير ذلك انها
استفتت عن شئ فافتيها فلم تقبله وقالت لا أقبل الا قول زرعة القاص أى
الواعظ فجاء بها اليه وقال له ان أمى تستفتيك فى كذا فقال أنت أعلم وأفقه
فأفتاها قال أفتيتها بكذا فقال زرعة القول ما قال أبو حنيفة فرضيت وانصرفت
وقال الجراحانى ساله بحضرتى شاب فاجابه فقال له أخطأت فقلت لمن حوله
سبحان الله ألا تعظمون هذا الشيخ فالتفت الى فقال دعهم فانى قد عودتهم
ذلك من نفسى وقال ما صليت صلاة منذ مات حماد الا استغفرت له مع والدى
وما مددت رجلى نحو داره وان بينى وبينه سبع سكك وانى لاستغفر لمن تعلمت
منه أو علمنى وقال ابن المبارك ما كان أوقر من مجلسه كان حسن السمت

حسن الثوب حسن الوجه وقال زفر كان حولا صبورا ومر به سفيان بن عيينة وقد ارتفع صوته وصوت أصحابه بالمسجد فقال يا أبا حنيفة هذا مسجد والصوت لا يرفع فيه فقال دعهم فانهم لا يفقهون الا به وقال الرشيد لابى يوسف صف لى اخلاق أبى حنيفة فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل يقول (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) كان علمى به رحمه الله كان شديد الذب عن محارم الله تعالى ان تؤتى شديد الورع لا ينطق فى دين الله بما لا يعلم يحب ان يطاع الله تعالى ولا يعصى مجانبا لاهل الدنيا فى زمانهم لا ينافس فى عزها طويل الصمت دائم الفكر على علم واسع لم يكن مهذارا ولا ثرثارا ان سئل عن مسئلة وكان عنده فيها علم نطق به وأصاب فيها وان كان غير ذلك قاس على الحق واتبعه صائنا لنفسه ودينه بذولا للعلم والمال مستغنيا بنفسه عن جميع الناس لا يميل الى طمع بعيدا عن الغيبة لا يذكر أحدا الا بخير فقال الرشيد هذه أخلاق الصالحين وقال المعافى الموصلى كان فيه عشر خصال ما كانت واحدة منها فى انسان الا صار رئيسا فى وقته وساد قبيلته الورع والصدق والعفة ومداراة الناس والمودة الصادقة والاقبال على ما ينفع وطول الصمت والاصابة بالقول ومعونة اللهفان ولو عدوا وقال ابن نمير كان يجلس ومعه أصحابه كزفر وداود الطائى والقاسم بن معن فيتطارحون مسئلة فيما بينهم فيرتفع فيها أصواتهم ثم يتكلم أبو حنيفة فيسكتون حتى يفرغ فيتحفظون ما تكلم به فاذا أحكموا اخذوا فى مسئلة أخرى وكان يقول لو كان العوام لى عبيد الاعتقتهم وتبرأت من ولائهم

(الفصل الخامس والعشرون فى أكله من كسبه ورده للجوائز) قد تواتر عنه رحمة الله عليه انه كان يتجر فى الخز مسعودا ماهرا فيه وله دكان فى الكوفة وشركاء يسافرون له فى شراء ذلك و يبيعه مستغنيا بنفسه لا يميل الى طمع ومن ثمة قال الحسن بن زياد والله ما قبل لاحد منهم أى الخلفاء والامراء جائزة ولا هدية ووصل اليه من المنصور ثلاثون ألف درهم فى دفعات فقال له يا أمير

المؤمنين انى ببغداد غريب وعندى ودائع الناس وليس لها عندى موضع فاجعلها فى بيت المال فاجابه فلما مات أخرجت ودائع الناس من بيت المال فرأوها فقال المنصور خدعنا أبو حنيفة وقال مصعب أجازه المنصور بعشرة آلاف درهم فخشى انه ان ردها غضب وان قبلها دخل عليه فى دينه ما يكرهه فشاورنى فقلت هذا مال عظيم فى عينه اذا دعيت لقبضه لم يكن هذا أملى من أمير المؤمنين فدعى لقبضه فقال ذلك فبلغ المنصور فحبس الجائزة فكان يكاد لا يشاور فى أمره غيرى وخاصمت المنصور زوجته فى ميله عنها وطلبت العدل ثم رضيت ان يكون أبو حنيفة حكما بينهما فاحضر وجلست خلف الستر فقال له المنصور كم يحل من النساء قال أربع قال ومن الاماء قال ماشاء قال هل يجوز لاحد ان يقول بخلاف ذلك قال لا قال اسمعى يا هذه ثم قال يا أمير المؤمنين انما أحل الله تعالى ذلك لاهل العدل والا فالواحدة قال تعالى فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة الآية فينبغى لنا أن نتأدب بآداب الله تعالى فنتعظ بمواعظه فسكت المنصور فلما خرج أبو حنيفة اتبعته هدية سنية فردها عليها وقال انما ناضلت عن دين الله لا تقربا لاحد ولا طلبا لدنيا

(الفصل السادس والعشرون فى ملبسه) قال حاد ولده كان حسن الهيئة كثير التعطر يعرف بريح الطيبة قبل أن يرى وقال أبو يوسف كان يتعهد شعره حتى لم ير منقطع الشسع وقال غيرهما كان يلبس قلنسوة طويلة سوداء قال النضر قال لى وقد أراد الركوب أعطنى كساءك وخذ كسائى ففعلت فلما رجع قال لى أخجلتنى بغلظ كسائك وكان بخمسة دنانير ثم رأيت عليه كساء قومته بثلاثين دينارا وقوم رداءه وقميصه بار بعمائة درهم وكان له لباس جبة فنك وجبة سنجاب ثعلب يصلى فيها ورداء عليه علم وسبع قلانس احداهن سوداء

﴿الفصل السابع والعشرون فى شئ من حكمه وآدابه﴾ كان يتمثل كثيرا بقول القائل (شعر)

كفى حزنا ان لا حياة هنيئة * ولا عمل يرضى به الله صالح

وكان يقول من تكلم فى شئ من العلم ونقده وهو يظن ان الله تعالى لا يسأله عنه كيف أفتيت فى دين الله فقد سهلت عليه نفسه ودينه من طلب الرياسة قبل وقتها عاش فى ذل لا يعرف الفقه وقدره وقدر أهله من كان ثقيل المجالسة رأيت المعاصى ذلة فتركها مروءة فصارت ديانة من لم يمنعه العلم عن محارم الله تعالى فهو من الخاسرين جمع الهم بحذف العلائق بان لا يأخذ الا قدر حاجة يعين على حفظ الفقه ان لم يكن أولياء الله تعالى فى الدنيا والآخرة العلماء فليس لله ولى وأفتى بعد الصبح فى مسائل فاجاب فيها فقيل له أليس كانوا يكرهون الكلام فى مثل هذا الوقت الا بخير فقال أبو حنيفة وأى خير أكثر من ان يقول هذا حلال وهذا حرام ننزه الله ونحذر الخلق من معاصيه ان الجراب اذا فرغ من الزاد ضاع صاحبه وأتى اليه رجل بكتاب شفاعة ليحدثه فقال ما هذا بطلب العلم قد أخذ الله الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه لا يكون العالم له خواص ولكن يعلم الناس ويريد الله بتعليمه وقال لبعض الناس لا تسألنى عن أمر الدين وأنا ماش أو أحدث الناس أو نائم أو متكئ فان هذه الاماكن لا يجتمع فيها عقل الرجال وسئل عن على ومعاوية وقتلى صفين فقال أخاف أن أقدم على الله تعالى بشئ يسألنى عنه ولو سكت لم أسئل عنه بل عما كلفت به فالاشتغال به أولى وقال لاصحابه ان لم تريدوا بهذا العلم الخير ما توفقوا وكان يقول عجبت لقوم يقولون بالظن ويعملون به والله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تقف ما ليس لك به علم) الآية ﴿ تنبيه ﴾ يتعين تأويل كلامه هذا رحمة الله عليه على أن تعجبه انما هو ممن يقول بالظن أو يعمل به فى العقائد المطلوب فيها اليقين أو فى الفروع وليس مجتهدا ولا مقلد المجتهد بخلاف المجتهد ومقلديه لان الفقه من باب الظنون وان قيل الحكم معلوم والظن انما هو فى طريقه ولذا عبر وافى حده بانه العلم بالاحكام الخ وقال من تعلم العلم للدنيا حرم بركته ولم يرسخ فى قلبه ولم ينتفع به

كثيرا

كثيرا أحد ومن تعلمه للدين بورك له فيه ورسخ فى قلبه وانتفع المقتبسون منه بعلمه وقال لابراهيم بن أدهم يا ابراهيم انك قد رزقت من العبادة شيأ صالحا فليكن العلم من بالك فانه رأس العبادة وبه قوام الامور وقال من يطلب الحديث ولم يتفقه كان كمن يجمع الادوية ولا يدرى منافعها حتى يجىء الطبيب كما ان المحدث لا يعرف وجه حديثه حتى يجىء الفقيه اذا أردت حاجة من حاجات الدنيا فلا تأكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل وظاهر ان مراده الاكل الكثير وقال له المنصور لم لم تغشنا قال لانه ليس عندى ما أخافك عليه وان قربتنى فتنتنى وان أقصيتنى أخزيتنى وقال لامير الكوفة كسرة خبز وقعب ماء وفرو ثوب مع السلامة خير من العيش فى نعيم يكون من بعده ندامة وكان يقول اذا تكلم عنده فى الناس ايا كم ونقل مالا يحبه الناس عفا الله عمن قال فينا مكروها ورحم الله من قال فينا جميلا تفقهوا فى دين الله تعالى وذروا الناس وما قد اختاروا لانفسهم فيحوجهم الله تعالى اليكم وقال من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وكل شدة فيها من قطع عليك حديثك فلا تعده فانه قليل المحبة فى العلم والادب لا تجمع لحبيبك الذنوب وهو نفسك والمال لبغيضك وهو الوارث ما قاتل أحد عليا الا وعلى أعلى بالحق منه ولولا ما شاع من على فيهم ما علم أحد كيف السيرة فى قتال بغاة المسلمين ونظير هذا قول الشافعى رحمه الله أخذت أحكام البغاة وقتالهم من قتال على لمعاوية رضى الله عنهما وأجاب فى مسئلة فقيل له لا يزال هذا المصرأى الكوفة بخير ما أبقاك الله تعالى فيه فقال (شعر)

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن العناء تفردى بالسودد

وتقدم ولده حماد ليصلى بالناس فاخذ أبو حنيفة بجامع ثوبه فاخره وقدم غيره فقال يا أبت تفضحنى قال بل أردت ان تفضح نفسك فنعتك اذ لو صليت فقال قائل أعيدوا صلاتكم خلف هذا فسطر فى الكتب ويبقى عاره الى يوم القيامة

*(الفصل الثامن والعشرون فى محنته لما أرادوا توليته الوظائف الجليلة

كالقضاء ونظر بيت المال فامتنع) * قال الربيع أرسلني لاحضاره يزيد بن
عمرو بن هبيرة متولي العراق لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فاراده على
بيت المال فابى فضربه أسواطا وبسط هذه القصة ان ابن هبيرة كان واليا
على العراق من بني أمية فظهرت الفتنة بالعراق فجمع فقهاء العراق فولى
كلا منهم شيأ من عمله وأرسل الى أبي حنيفة ليكون على خاتمه ولا ينفذ
كتاب ولا يخرج شئ من بيت المال الا من تحت يده فامتنع فخاف ان لم يفعل
ليضربنه فقال له الفقهاء ننشدك الله أن لا تهلك نفسك فاننا اخوانك وكلنا
كاره لهذا الامر ولم تجد بدا من قبوله فابى وقال لو أرادني أن أعد له أبواب
المسجد لم أفعل فكيف وهو يريد أن يكتب بضرب عنق رجل مسلم أي مثلا
وخص ذلك لان القتل أعظم الكبائر بعد الشرك وأخت أنا على ذلك الكتاب
فوالله لا أدخل في هذا أبدا فحبسه صاحب الشرطة جمعتين لم يضربه ثم ضربه
أربعة عشر سوطا وفي رواية انه ضرب أياما متوالية فجاء الرجل لابن هبيرة
فقال له ان الرجل ميت فقال قل له يخرجنا من يميننا فسأله فقال لو سألني ان
أعد له أبواب المسجد ما فعلت دعوني أستشير اخواني في ذلك فاغتنم ابن هبيرة
ذلك فامر بتخليته فركب دوابه وهرب الى مكة سنة مائة وثلاثين فاقام بها الى
أن صارت الخلافة للعباسية فقدم الكوفة زمن المنصور فأكرمه وأجله وأمر
له بعشرة آلاف درهم وجارية فابى قبول ذلك وروى الخطيب واقعة أخرى له
مع ابن هبيرة هي انه كلمه في أن يلي الكوفة فأبى عليه فضربه مائة سوط
وعشرة أسواط في كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى
سبيله وفي رواية انه أمره بولاية القضاء فامتنع فحبسه فقيل له انه حلف أن
لا يخرجك حتى تلي ولاية وانه يريد بناء تعد له اللبن فقال والله ولو سألني ان أعد
له أبواب المسجد ما فعلت ولما خلى سبيله قال كان غم والدتي بضربي علي
أشد من الضرب وفي رواية انه أمر بضربه على رأسه فانتفخ رأسه ثم أمر
باطلاقه وذكر انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول له

اما

أما تخاف الله تعالى تضرب رجلا من أمتي بلا جرم وهدده فأرسل اليه فأخرجه واستحله وكان أحمد بن حنبل لما ضرب في محنة يتذكر حال أبي حنيفة ويترحم عليه ووقع له مع المنصور نحو ذلك وذلك أن ابن أبي ليلى قاضي الكوفة لما مات قال المنصور خلت الكوفة من حاكم عدل ثم أمر بحمل أبي حنيفة ومسعر والثوري وشريك فحملوا اليه فقال لهم أبو حنيفة أخمن فيكم تخمينا أما أنا فأحتال وأتخلص وأما مسعر فيتجانن وأما سفيان فيهرب وأما شريك فيقع فلما قربوا من بغداد أظهر سفيان أنه يريد قضاء الحاجة فجلس الموكل به ينتظره فرأى سفينة فقال لملاحها ان لم تمكني منها ذبحت تأول قوله صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين ودفع للملاح دراهم فلما لم يجده الموكل به هرب أيضا فلما دخلوا على المنصور تقدم اليه مسعر فقال له هات يدك كيف أنت ودوابك وأولادك فقال أخرجوه فانه مجنون وعرض على أبي حنيفة تولية القضاء فأبى عليه فحلف ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فأعاد المنصور فأعاد أبو حنيفة فقال له الربيع الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف قال هو أقدر على كفارة يمينه مني على كفارة يميني فأمر بحبسه ثم دعا به فقال أترغب عما نحن فيه فقال أصلح الله أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين اتق الله ولا تشرك في أمانتك من لا يخاف الله والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك فقال كذبت أنت تصلح لذلك فقال يا أمير المؤمنين قد حكمت على نفسك ان كنت صادقا فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح وان كنت كاذبا فكيف يحل لك أن تولي قاضيا كذابا ومع ذلك فاني رجل مولى ولا يكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى فأمر به الى الحبس وعرض على شريك ذلك فقبله فهجره الثوري فقال أمكنك الهرب فلم تهرب وما قيل انه تولى عدة أيام ليكفر عن يمينه رده الائمة بأن الصحيح انه توفي في السجن من الضرب أو السم كما يأتي

الفصل التاسع والعشرون في سنده في القراءة حاء في عدة طرق انه اخذ

القراءة عن الامام عاصم أحد القراء السبعة ووقع لجماعة من المفسرين وغيرهم انهم نسبوا اليه قراآت شاذة اختار القراءة بها وقد شنع أئمة من الحفاظ المتأخرين عليهم فى ذلك وانهم اغتروا فى نقل ذلك عنه على كتاب لشخص اسمه محمد بن جعفر الخزاعى ألفه فى قراآت أبى حنيفة وقد صرح جماعة منهم الدارقطنى بان ذلك الكتاب موضوع لا أصل له وأبو حنيفة برىء من ذلك اذهو أعقل وأدين من أن يعدل عن القراآت المتواترة الى قراآت شاذة ولا وجه لكثير منها

(الفصل الثلاثون فى سنده فى الحديث) مر انه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم ومن ثمة ذكره الذهبى وغيره فى طبقات الحفاظ من المحدثين ومن زعم قلة اعتنائه بالحديث فهو اما لتساهله أو حسده اذ كيف يتأتى لمن هو كذلك استنباط مثل ما استنبطه من المسائل التى لا تحصى كثرة مع انه أول من استنبط من الادلة على الوجه المخصوص المعروف فى كتب أصحابه رحمة الله عليهم ولاجل اشتغاله بهذا الاهم لم يظهر حديثه فى الخارج كما ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لما اشتغلا بمصالح المسلمين العامة لم يظهر عنهما من رواية الاحاديث مثل ما ظهر عمن دونهما حتى صغار الصحابة رضوان الله عليهم وكذلك مالك والشافعى لم يظهر عنهما مثل ما ظهر عمن تفرغ للرواية كابى زرعة وابن معين لاشتغالهما بذلك الاستنباط على ان كثرة الرواية بدون دراية ليس فيه كبير مدح بل عقد له ابن عبد البر بابا فى ذمه ثم قال الذى عليه فقهاء جماعة المسلمين وعلمائهم ذم الاكثار من الحديث بدون تفقه ولا تدبر وقال ابن شبرمة أقل الرواية تفقه وقال ابن المبارك ليكن الذى يعتمد عليه الاثر وخذ من الرأى ما يفسر لك الحديث ومن أعذار أبى حنيفة أيضا ما يفيده قوله لا ينبغى للرجل ان يحدث من الحديث الا بما حفظه يوم سمعه الى يوم يحدث به فهو لا يرى الرواية الا لمن حفظه وروى الخطيب عن اسرائيل بن يونس انه قال نعم الرجل النعمان ما كان أحفظه

لكل حديث فيه فقه وأشد فحصه عنه وأعلم بما فيه من الفقه وعن أبي يوسف ما رأيت أحدا أعلم بتفسير الحديث ومواضع النكت التي فيه من الفقه من أبي حنيفة وقال أيضا ما خالفته في شئ قط فتدبرته الا رأيت مذهبه الذي ذهب اليه أنجى في الآخرة وكنت ربما ملت الى الحديث فكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني وقال كان اذا صمم على قول درت على مشايخ الكوفة هل أجد في تقوية قوله حديثا أو اثرا فربما وجدت الحديثين والثلاثة فاتيته بها فمنها ما يقول فيه هذا غير صحيح او غير معروف فاقول له وما علمك بذلك مع انه يوافق قولك فيقول أنا عالم بعلم أهل الكوفة وكان عند الاعمش فسئل عن مسائل فقال لابي حنيفة ما تقول فيها فاجابه قال من أين لك هذا قال من أحاديثك التي رويتها عنك وسرد له عدة أحاديث بطرقها فقال الاعمش حسبك ما حدثتك به في مائة يوم تحدثني به في ساعة واحدة ما علمت انك تعمل بهذه الاحاديث يا معشر الفقهاء أنتم الاطباء ونحن الصيادلة وأنت أيها الرجل أخذت بكلا الطرفين وقد خرج الحفاظ من أحاديثه مسانيد كثيرة اتصل بنا كثير منها كما هو مذكور في مسندات مشايخنا وحذفتها الطول الكلام عليها مع انه ليس فيها كثير غرض

الفصل الحادي والثلاثون في سبب وفاته

مر ان المنصور طلبه للقضاء وان يكون قضاة بلاد الاسلام من تحت أمره فامتنع فحلف وغلظ ان لم يفعل ليحبسنه وليشددن عليه فامتنع فحبسه وكان يرسل له ان أحببت الخلاص فاقبل فيمتنع ولما اشتد الامتناع امر ان يخرج كل يوم فيضرب عشرة اسواط وينادى عليه في الاسواق فاخرج وضرب ضربا موجعا حتى سال الدم على عقبيه ونودي عليه وهو كذلك في الاسواق ثم اعيد الى الحبس وضيق عليه تضييقا شديدا حتى في مأكله ومشربه ثم فعل به ذلك الضرب الشديد والنداء في اليوم الثاني والثالث ثم هكذا الى عشرة أيام فحينئذ بكى وأكد الدعاء فتوفي بعد خمسة أيام وروى جماعة انه رفع اليه قدح فيه سم ليشرب فامتنع

وقال انى لا علم مافيه ولا أعين على قتل نفسى فطرح ثم صب فى فيه قهرا فمات وقيل ان ذلك كان بحضرة المنصور وصح انه لما أحس بالموت سجد فخرجت نفسه وهو ساجد قيل الامتناع عن القضاء لا يوجب للمنصور أن يقتله هذه القتلة الشنيعة وانما السبب فى ذلك ان بعض أعداء أبى حنيفة دس الى المنصور ان أبا حنيفة هو الذى أثار عليه ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على رضى الله عنهم الخارج عليه بالبصرة فخاف خوفا شديدا ولم يقتله قرار وانه قواه بمال كثير فخشى المنصور من ميله الى ابراهيم لانه أغنى أبا حنيفة كان وجيها ذا مال واسع من التجارة فطلبه لبغداد ولم يجسر على قتله بغير سبب فطلب منه القضاء مع علمه بانه لا يقبله ليتوصل بذلك الى قتله

﴿الفصل الثانى والثلاثون فى تاريخ وفاته﴾ اتفقوا على انه رحمة الله عليه مات سنة مائة وخمسين عن سبعين سنة والقول الذى انه مات فى مائة سنة واحدى وخمسين غلط كما صرح به قال كثيرون وكان موته فى رجب وقيل شعبان وقيل نصف شوال ولم يخالف غير ولده حماد

﴿الفصل الثالث والثلاثون فى تجهيزه﴾ لما توفى رحمة الله عليه أخرج من مكان حبسه فحمله خمسة أنفس الى أن أتوا به الى مكان غسله فغسله الحسن ابن عمارة قاضى بغداد وصب عليه أبو رجاء عبد الله بن واقد الهروى ولما فرغ الحسن من غسله قال رحمك الله لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة كنت أفقهنا وأعبدنا وأزهدنا وأجمعنا لخصال الخير وقبرت اذ قبرت الى خير وسنة وأتعبت من بعدك وما فرغوا من غسله الا وقد اجتمع من أهل بغداد خلق لا يحصيهم الا الله تعالى كانه نودى لهم بموته وحزر من صلى عليه فقيل بلغوا خمسين ألفا وقيل أكثر وأعيدت الصلاة عليه ست مرات آخرها ابنه حماد ولم يقدر على دفنه الى بعد العصر من الزحام ومكث الناس يصلون على قبره نحو عشرين يوما وأوصى ان يدفن بمقابر الخيزران بالجانب الشرقى لان أرضها طيبة غير مغصوبة ولما بلغ المنصور ذلك قال

يعذر فيك حيا وميتا ولما بلغ ابن جريج فقيه مكة وشيخ شيخ الشافعي موته استرجع وقال أي علم ذهب ولما بلغ شعبة استرجع وقال طفئ عن الكوفة نور العلم اما انهم لا يرون مثله أبدا وبعد مدة طويلة بنى على قبره الملك أبو سعد المستوفي الخوارزمي قبة عظيمة والى جانبها مدرسة

﴿ الفصل الرابع والثلاثون فيما سمع من الهواتف بعد موته ﴾ جاء عن صدقة المغاربي وكان مجاب الدعوة انه لما دفن أبو حنيفة سمع صوتا في الليل ثلاث ليال يقول (شعر)

ذهب الفقه فلا فقه لكم * فاتقوا الله وكونوا خلفا
مات نعمان فمن هذا الذي * يحيي الليل اذا ما سجفا

وقيل ان الجن بكته ليلة مات فكانوا يسمعون الصوت بهذين البيتين ولا يرون صورة الشخص

﴿ الفصل الخامس والثلاثون في تأدب الائمة معه في مماته كما هو في حياته وان قبره يزار لقضاء الحوائج ﴾ اعلم انه لم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبره ويتوسلون عنده في قضاء حوائجهم ويرون نجح ذلك منهم الامام الشافعي رحمه الله لما كان ببغداد فانه جاء عنه انه قال اني لاتبرك بابي حنيفة وأجيء الى قبره فاذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت الى قبره وسألت الله عنده فتقضى سريعا وذكر بعض المتكلمين على منهاج النووي ان الشافعي صلى الصبح عند قبره فلم يقنت فقيل له لم قال تادبا مع صاحب هذا القبر وذكر ذلك غيره أيضا وزاد انه لم يجهر بالبسملة ولا اشكال في ذلك خلافا لمن ظنه لانه قد يعرض للسنة ما يرجح ترك فعلها لكونه الآن أهم منها ولا شك ان الاعلام برفعة مقام العلماء أمر مطلوب متأكد وانه عند الاحتياج اليه لرغم أنف حاسد أو تعليم جاهل أفضل من مجرد فعل القنوت والجهر بالبسملة للخلاف فيهما وعدم الخلاف فيه ولان نفعه متعد ونفع ذينك قاصر ولا شك أيضا ان الامام أبا حنيفة كان له حساد كثيرون في حياته وبعد مماته حتى رموه بالعظائم وسعوا في قتله تلك القتلة الشنيعة السابقة ولا شك أيضا

ان البيان بالفعل أظهر منه بالقول لان دلالة الفعل عقلية ودلالة القول وضعية وهي يتصور فيها التخلف عن مدلولها بخلاف الدلالة الفعلية اذ الدلالة على كرم زيد بفعله للكرم لا يشبهها الدلالة على كرمه بقوله انى كريم واذا تمهدت هذه الدواعي اتضح ان فعل الشافعي لذلك أفضل من فعله للقنوت والجهر اظهارا لمزيد التأدب مع هذا الامام ولمزيد شرفه وعلوه وانه من أئمة المسلمين الذين يقتدى بهم ويجب عليهم توقيرهم وتعظيمهم وانه ممن يستحى منه ويتأدب معه من ان يفعل بحضرته خلاف قوله بعد وفاته فكيف في حياته وان الحاسدين له خسر واخسرانا مبينا وانهم ممن أضله الله على علم ولما وقف ابن المبارك على قبره قال رحمك الله مات ابراهيم النخعي وحماد بن سليمان وتركا خلفا ومت أنت ولم تترك على وجه الارض خلفا ثم بكى بكاء شديدا وقال الحسن بن عمارة على قبره كنت لنا خلفا ممن مضى وما تركت بعدك خلفا ان خلفوك في العلم الذي علمتهم لم يمكنهم ان يخلفوك في الورع الا بتوفيق

﴿الفصل السادس والثلاثون في بعض منامات حسنة رآها ورؤيت له﴾

روى انه رأى الله تبارك وتعالى تسعا وتسعين مرة فقال في نفسه لئن رأيته تمام المائة لاسألنه بم تنجو الخلائق من عذابه فرآه تبارك وتعالى فسأله فاجابه ومرانه رأى كأنه ينبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم وان ابن سيرين وتلميذه أولاها انه يظهر أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشر علما لم يسبقه اليه أحد قبله قال هشام فنظر أبو حنيفة وتكلم حينئذ ورأى هذه الرؤيا له بعض أصحابه أيضا وان الناس ينظرون اليه ولا ينكر عليه أحد منهم ثم تناول من ذلك التراب قدرا كثيرا فنفخه في الهواء من الجهات الاربع فهالته فقصها على ابن سيرين فقال ويحك ان هذا الذي رأيت لرجل جليل عظيم ان كان فقيها أو عالما قلت انه فقيه قال فوالله ليظهرن هذا الرجل من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا يظهره الناس وليذهبن اسمه شرقا وغربا وفي جميع تلك النواحي التي ذر ذلك التراب فيها وقال أزهر بن كيسان رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وخلفه أبو بكر وعمر فقلت لهما أسأل رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن شئ قال سل ولا ترفع صوتك فسألته عن علم أبى
حنيفة لانى كنت زاهدا فيه فقال هذا علم انفتح من علم الخضر ورأيت ثلاث
نجوم سقطت من السماء مترتبة فكانت أبا حنيفة ثم مسعرا ثم الثورى فذكر
ذلك لمحمد بن مقاتل فبكى وقال العلماء نجوم الارض ورأى هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى المحشر قائما على حوضه وعن يمينه ابراهيم الخليل عليه
السلام يضع خده على صدر النبى صلى الله عليه وسلم ثم أبا بكر هكذا حتى عد
سبعة عشر شيخا ورأى أمام الحوض بعض جيرانه وبين يديه اناء فسأله أن
يناوله ليشرب فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأذن له
فاعطاه كاسا فشرب به وسقى أصحابه كلهم فلم ينقص منه قدر أنملة وكان ذلك ماء
أبيض من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل ورأى بعض الابدال محمد
ابن الحسن فقال له مافعل الله بك قال قال انى لم أجعل جوفك وعاء للعلم وأريد
أن أعذبك فقلت له مافعل بابى يوسف قال فوقى قلت فافعل بابى حنيفة قال
فى أعلى عليين وفى رواية فوق أبى يوسف بطبقات ورؤى بعض الصالحين
فقيل له مافعل الله بك قال غفر لى وباهى بى وبابى حنيفة النعمان بن ثابت
الملائكة ونحن وهو فى أعلى عليين وقام شخص لمقاتل بن سليمان فى حلقته
فقال رأيت كان رجلا نزل من السماء وعليه ثياب بيض فقام على أطول
منارة ببغداد ونادى ماذا فقد الناس فقال مقاتل لئن صدقت رؤياك
ليفقدن أعلم أهل الدنيا فلم يمت الا أبو حنيفة فاسترجع مقاتل ثم قال مات من
كان يفرج عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابى معاذ الفضل بن خالد
قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ماتقول فى علم أبى
حنيفة فقال ذلك علم يحتاج الناس اليه وعن مسدد بن عبد الرحمن البصرى
انه نام بمكة بين الركن والمقام قبيل الفجر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يارسول الله ماتقول فى هذا الرجل الذى بالكوفة النعمان بن ثابت
آخذ من علمه فقال صلى الله عليه وسلم خذ من علمه واعمل بعلمه فنعم الرجل هو
قال فقمت وكنت أكره الناس للنعمان وأنا أستغفر الله مما كان منى ورأى

بعض أئمة الحنابلة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلت له يارسول الله حدثني عن المذاهب فقال المذاهب ثلاثة فوقع في نفسي انه يخرج مذهب أبي حنيفة لتمسكه بالرأي فابتدأ وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد ثم قال ومالك أربعة أربعة فقلت أيها خير فغالب ظني انه قال مذهب أحمد * (تنبيه) * زعم بعض حاسديه انه رؤي له منامات بضد ذلك منها ان الزبير بن أحمد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا حنيفة على يساره فالتفت وقال له فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين والشافعي عن يمينه فالتفت وقال له أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وليس هذا المنام بصحيح لان الامام الحافظ الديلمي صاحب الفردوس شافعي ومع ذلك روى عن المظفر عن الاستاذ الحافظ أبي جعفر القايني انه رأى مناما طويلا مشتملا على أشياء سألها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها اختلاف الائمة فقال صلى الله عليه وسلم كل في اجتهاده مصيب فقال يارسول الله أبو حنيفة يقول المجتهد ان مصيبان والحق في واحد والشافعي يقول المجتهد ان مصيب ومخطئ معفو عنه فقال صلى الله عليه وسلم هما قريبان في المعنى وان كانا مختلفين في اللفظ فقلت يارسول الله فايهما أولى بالاخذ فقال كلاهما على الحق قلت فما معنى قول الزبير ابن أحمد وذكر ما مر عنه فقال صلى الله عليه وسلم لا أحفظه ولو قلت لقلت لكليهما أولئك على هدى من ربهم قلت الحمد لله الذي جعل في الامر سعة وأرجو أن يكون اختلافهم رحمة ومنها منام آخر نحو ذلك حذفته لشناعته ويكفي في رده ما مر له من المنامات على انها كثيرة فانما اقتصرت منها على غررها اختصارا

* (الفصل السابع والثلاثون في الرد على من قدح في أبي حنيفة بتقديمه القياس على السنة) * قال الحافظ بن عبد البر ما حاصله أفرط أصحاب الحديث في ذم أبي حنيفة وتجاوزوا الحد في ذلك لتقديمه القياس على الاثر وأكثر أهل العلم يقولون اذا صح الحديث بطل الرأي والقياس لكنه لم يرد الا بعض أخبار الآحاد بتأويل محتمل وكثير منه قد تقدمه اليه غيره وتابعه عليه مثله وجل ما يوجد له من ذلك تبع فيه أهل علم بلده كابراهيم النخعي وأصحاب ابن

مسعود الا أنه أكثر من ذلك هو وأصحابه وغيره انما يوجد له ذلك قليلا ومن ثمة لما قيل لاحمد بن حنبل ما الذى نقمتم عليه قال الرأى قيل أليس مالك تكلم بالرأى قال بلى ولكن أبو حنيفة أكثر رأيا منه قيل فهلا تكلمتم فى هذا بحصته وهذا بحصته فسكت أحمد قال الليث بن سعد أحصيت على مالك سبعين مسئلة قال فيها برأيه وكلها مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كتبت اليه أعظه فى ذلك ولم نجد أحدا من علماء الامة أثبت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رده الا بحجة كادعاء نسخ بأثر مثله أو باجماع أو بعمل يجب على أصله الانقياد اليه أو طعن فى سنده ولورده أحد من غير حجة لسقطت عدالته فضلا عن امامته ولزم اسم الفسق ولقد عافاهم الله من ذلك وقد جاء عن الصحابة رضى الله عنهم من اجتهاد الرأى والقول بالقياس على الاصول مايطول ذكره وكذلك التابعون وعدد منهم خلقا كثيرين انتهى كلام ابن عبد البر وفيه جواب شاف عن ذلك القدح فتدبره والحاصل أن أبا حنيفة لم ينفرد بالقول بالقياس بل على ذلك عمل فقهاء الامصار كما قاله ابن عبد البر وبسط الكلام عليه ردا على من جهل فجعل ذلك عيبا ﴿تنبيه﴾ قد عد جماعة الامام أبا حنيفة رحمه الله من المرجئة وليس هذا الكلام على حقيقته أما أولا فقال شارح المواقف كان عسان المرجئ يحكى ماذهب اليه من الارجاء عن أبى حنيفة ويعده من المرجئة وهو افتراء عليه قصد به عسان ترويج مذهبه بنسبته الى هذا الامام الجليل الشهير وأما ثانيا فقد قال الآمدى لعل عذر من عده من مرجئة أهل السنة أن المعتزلة كانوا فى الصدر الاول يلقبون من خالفهم فى القدر مرجئا أو لانه لما قال الايمان لا يزيد ولا ينقص ظن به الارجاء بتأخير العمل عن الايمان وليس كذلك اذ عرف منه المبالغة فى العمل والاجتهاد فيه وأما ثالثا فقد قال ابن عبد البر كان أبو حنيفة يحسد وينسب اليه مالا يليق به وقد أقبل عليه وكيع فرآه مطرقا مفكرا فقال له من أين فقال من عند شريك فانشأ يقول (شعر)

ان يحسدونى فانى غيرهم لأمهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى ومابهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد
قال وكيع وأظنه كان بلغه عن شريك شئ

﴿ الفصل الثامن والثلاثون فى ردما قيل فيه من الجرح ﴾ قال أبو عمر يوسف ابن عبد البر والذين رووا عن أبى حنيفة ووثقوه وأثنوا عليه أكثر من الذين تكلموا فيه والذين تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ما عابوا عليه الاغراق فى الرأى والقياس وقد مر ان ذلك ليس بعيب وكان يقال يستدل على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه ألا ترى أن عليا كرم الله وجهه هلك فيه فئتان محب أفرط ومبغض فرط قال الامام على بن المدينى أبو حنيفة روى عنه الثورى وابن المبارك وحماد بن زيد وهشام ووكيع وعباد ابن العوام و جعفر بن عون وهو ثقة لا بأس به وكان شعبة حسن الرأى فيه وقال يحيى بن معين أصحابنا يفرطون فى أبى حنيفة وأصحابه فقيل له أكان يكذب قال أنبل من ذلك وفى طبقات شيخ الاسلام التاج السبكى الحذر كل الحذر ان تفهم من قاعدتهم ان الجرح مقدم على التعديل على اطلاقها بل الصواب أن من ثبتت امامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندر جارحه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبى أو غيره لم يلتفت الى جرحه ثم قال بعد كلام طويل قد عرفناك أن الجارح لا يقبل منه الجرح وان فسره فى حق من غلبت طاعاته على معصيته ومادحوه على ذاميه ومزكوه على جارحيه اذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بان مثلها حامل على الوقيعة فيه من تعصب مذهبى أو منافسة دنيوية كما يكون بين النظراء أو غير ذلك وحينئذ فلا يلتفت لكلام الثورى وغيره فى أبى حنيفة وابن أبى ذئب وغيره فى مالك وابن معين فى الشافعى والنسائى فى أحمد بن صالح ونحو ذلك قال ولو أطلقنا تقديم الجرح لما سلم لنا أحد من الائمة اذ ما من امام الا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون قال ابن عبد البر هذا باب غلط فيه كثيرون وضلت فيه فرقة جاهلية لا تدرى ما عليها فى ذلك ثم قال الدليل

على

على انه لا يقبل فى حق من اتخذه جمهور الناس اماما فى الدين قول أحد من الطاعنين لان السلف قد سبق من بعضهم فى بعض كلام كثير فى حال الغضب ومنه ما حمل على الحسد ومنه ما حمل على التأويل مما لا يلزم المقول فيه شئ منه وذكر من كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم من النظراء بعضهم فى بعض شيأ كثيرا لم يلتفت اليه أحد من العلماء ولا عولوا عليه لانهم بشر يغضبون ويرضون والقول فى الرضا غير القول فى الغضب فمن أراد أن يقبل قول العلماء بعضهم فى بعض فليقبل قول من ذكرنا من الصحابة بعضهم فى بعض وقول من ذكرنا من التابعين وأئمة المسلمين بعضهم فى بعض فان فعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا وان لم يفعل وان يفعل ان هداه الله وألهمه رشده فليقف عند ما شرطناه فانه الحق الذى لا يصح غيره ان شاء الله تعالى ثم ذكر كلام كثيرين من نظراء مالك فيه وكلام ابن معين فى الشافعى قال وما مثل من تكلم فيهما وفى نظرائهما الا كما قال الحسن بن هانئ (شعر)

يا ناطح الجبل العالى لتكلمه * اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث قال (شعر)

ومن ذا الذى ينجو من الناس سالما * وللناس قال بالظنون وقيل

وقيل لابن المبارك فلان يتكلم فى أبى حنيفة فانشد (شعر)

حسدوك اذ ما فضلك الله * بما فضلت به النجباء

وقيل ذلك لابى عاصم النبيل فقال هو كما قال أبو الاسود الدؤلى (شعر)

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * فالقوم أعداء له وخصوم

و روى أبو عمرو عن ابن عباس رضى الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم فى بعض فانهم يتعايرون تعاير التيوس فى الزريبة وفى رواية عنه استمعوا كلام العلماء ولا تصدقوا بعضهم فى بعض فوالذى نفسى بيده لهم أشد تعايرا من التيوس فى زروبها وكذلك جاء عن عمرو بن دينار ومن ثمة ذكر فى المبسوط فى مذهب مالك أنه لا يجوز شهادة القارئ على القارئ يعنى العلماء لانهم أشد الناس تحاسدا وتباغضا

(الفصل التاسع والثلاثون فى رد ما نقله الخطيب فى تاريخه عن القادحين فيه) اعلم أنه لم يقصد بذلك الاجمع ما قيل فى الرجل على عادة المؤرخين ولم يقصد بذلك انتقاصه ولا الحط عن مرتبته بدليل انه قدم كلام المادحين وأكثر منه ومن نقل مآثره السابقة فى أكثرها انما اعتمد أهل المناقب فيه على ما فى تاريخ الخطيب ثم عقبه بذكر كلام القادحين ليتبين انه من جملة الاكابر الذين لم يسلموا من خوض الحساد والجاهلين فيهم ومما يدل على ذلك أيضا أن الاسانيد التى ذكرها للقدح لا يخلو غالبها من متكلم فيه أو مجهول ولا يجوز اجماعا ثم عرض مسلم بمثل ذلك فكيف بامام من أئمة المسلمين قال شيخ الاسلام الامام التقى ابن دقيق العيد أعراض الناس حفرة من حفر النار وقف على شفيرها الحكام والمحدثون وبفرض صحة ماذكره الخطيب من القدح عن قائله لا يعتد به فانه ان كان من غير أقران الامام فهو مقلد لما قاله أو كتبه أعداؤه أو من أقرانه فكذلك لما مر أن قول الاقران بعضهم فى بعض غير مقبول وقد صرح الحافظان الذهبى وابن حجر بذلك قالا ولا سيما اذا لاح انه لعداوة أو لمذهب اذ الحسد لا ينجو منه الا من عصمه الله تعالى قال الذهبى وما علمت عصرا سلم أهله من ذلك الا عصر النبيين والصديقين وقال التاج السبكى ينبغى لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الادب مع الأئمة الماضين وأن لا تنظر الى كلام بعضهم فى بعض الا اذا أتى ببرهان واضح ثم ان قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك والا فاضرب صفحا عما جرى بينهم فانك لم تخلق لهذا فاشتغل بما يعنيك ودع ما لا يعنيك ولا يزال طالب العلم عندى نبيلا حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ويقضى لبعضهم على بعض فاياك ثم اياك أن تصغى الى ما اتفق بين أبى حنيفة وسفيان الثورى أو بين مالك وابن أبى ذئب أو بين أحمد بن صالح والنسائى أو بين أحمد والحرث بن أسد المحاسبى وهلم جرا الى زمان العز بن عبد السلام والتقى ابن الصلاح فانك اذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك فالقوم أئمة أعلام ولاقوالهم محامل وربما لم تفهم بعضها فليس لنا الا الترضى عنهم والسكوت عما جرى بينهم كما

نقول

نقول فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم

(الفصل الاربعون فى رد ما قيل انه خالف فيه صرائح الاحاديث الصحيحة من غير حجة) هذا باب واسع جدا يستدعى سرد جميع أبواب الفقه فلنشر الى قواعد اجمالية تنفع من استحضرها عند الادلة التفصيلية واعلم ان ممن زعم ذلك من المتقدمين سفيان الثورى وآخرين منهم الحافظ أبو بكر بن أبى شيبة الكوفى وشيخ البخارى وسبب صدور ذلك منهم انهم استروحوا ولم يتأملوا قواعده وأصوله اذ منها كما قاله الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر وغيره ان خبر الواحد لا يقبل اذا خالف الاصول المجمع عليها فحينئذ يقدم القياس عليه وقد اعتذر عن تقديم القياس على خبر الواحد بان ذلك لموجب لا عبثا ولا رد للحديث مع سلامته عن القوادح حاشاه الله تعالى من ذلك بل لموجب أى موجب اما كونه لم يطلع على الحديث أو لم يصح عنده أو كونه رواية غير فقيه وقد خالف القياس ومن ثمة ردوا حديث أبى هريرة فى المصرات لكن انتصر جماعة من الحنفية لما عليه أكثر العلماء من أن فقه الراوى ليس شرطا لتقديم الخبر على القياس قالوا وقد عمل أصحابنا بحديث أبى هريرة اذا أكل الصائم أو شرب ناسيا مع مخالفته للقياس حتى قال أبو حنيفة رحمه الله لولا الرواية لقلت بالقياس وقد ثبت عن أبى حنيفة انه قال ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين ولم ينقل عن أحد من السلف اشتراط فقه الراوى فثبت ان القول باشتراطه قول محدث قال بعضهم على ان أبا هريرة كان فقيها اذ لم يعدم شيأ من أسباب الاجتهاد وقد كان يفتى فى زمن الصحابة وما كان يفتى فى ذلك الزمن الا فقيه مجتهد وتبعه على ذلك المحيوى القرشى فى طبقات الحنفية فقال انه من فقهاء الصحابة كما ذكره ابن حزم وقد جمع شيخنا شيخ الاسلام التقى السبكى فتاويه فى جزء سمعته منه انتهى واما عمل الراوى بخلاف مرويه لانه يدل على النسخ أو نحوه ومن ثمة أخذوا بعمل أبى هريرة بالغسل من ولوغ الكلب ثلاثا مع روايته للسبع ويقول ابن عباس ان المرتدة لا تقتل مع روايته من بدل دينه فاقتلوه واما

عموم البلوى به بان يحتاج كل واحد الى معرفته لان العادة تقضى باستفاضة
نقل مثله فانفراد واحد به قدح فيه ومن ثمة لم يأخذوا بخبر نقض الوضوء بمس
الذكر الذى يرويه بسرة مع عموم الحاجة الى معرفته واما كونه ورد فى حد
أو كفارة لسقوطهما بالشبهة واحتمال خطا الراوى المنفرد به شبهة واما
مخالفته للقياس الجلى أو الذى عضده حديث آخر واما طعن بعض السلف
فيه كخبر القسامة واما وقوع الاختلاف بين الصحابة فى مسئلة ورد فيها
خبر الواحد ولم يحتج أحد منهم به فاعراضهم عن الاحتجاج به مع شدة عنايتهم
بالاحاديث دليل على نسخه أو نحوه مثاله خبر الطلاق بالرجال فانهم اختلفوا
فى ذلك فقال جماعة يعتبر فى ملك الزوج لعدده بحرية الزوج ورقه منهم
الشافعى وآخرون بحرية المرأة ورقها منهم أبو حنيفة وآخرون يعتبر بمن رق
منهما واما مخالفته أعنى خبر الواحد لظاهر عموم القرآن لان أبا حنيفة لا يرى
تخصيص عمومه ولا نسخه بخبر الواحد لانه ظنى وذلك يقينى وتقديم أقوى
الدليلين واجب من ذلك خبر لا صلاة الا بفاتحة الكتاب مخالف لعموم
(فاقرؤا ما تيسر منه) واما مخالفته للسنة المشهورة لان الخبر المشهور أقوى
من خبر الآحاد كخبر الشاهد واليمين فانه مخالف لعموم الخبر المشهور البينة
على المدعى واليمين على من أنكر وأما كونه زائدا على القرآن كهذا فان
الذى فى القرآن رجلان أو رجل وامرأتان فالشاهد واليمين زائد عليهما
اذا تقرر ذلك علم منه نزاهة أبى حنيفة رحمه الله مما نسبه اليه أعداؤه
والجاهلون لقواعده بل لمواقع الاجتهاد من أصلها من تركه لخبر الآحاد
بغير حجة وانه لم يترك خبرا الا لدليل أقوى عنده وأوضح قال ابن حزم جميع
الحنفية مجمعون على ان مذهب أبى حنيفة ان ضعيف الحديث عنده أولى
من الرأى فتأمل هذا الاعتناء بالاحاديث وعظيم جلالتها وموقعها عنده
ومن ثمة قدم العمل بالاحاديث المرسلة على العمل بالقياس فأوجب الوضوء
من القهقهة مع انها ليست بحدث فى القياس للخبر المرسل فيها ولم يقل بذلك فى
صلاة الجنازة وسجود التلاوة اقتصارا مع النص فانه انما ورد فى الصلاة

ذات الركوع والسجود وقد قال المحققون لا يستقيم العمل بالحديث بدون
استعمال الرأى فيه اذ هو المدرك لمعانيه التى هى مناط الاحكام ومن ثمة
لما لم يكن لبعض المحدثين تأمل لمدرك التحريم فى الرضاع قال بان لمرتضعين
بلبن شاة تثبت بينهما المحرمية ولا العمل بالرأى المحض ومن ثمة لم يفطر
الصائم بنحو الاكل ناسيا وأفطر بالاستقاءة مع ان القياس فى الاول الفطر
لوجود ما يضاد الصوم وفى الثانى عدمه لان الصوم انما يفسده ما دخل دون
ما خرج *(خاتمة)* قد بان لك واتضح ان الامام أبا حنيفة رحمه الله انما ترك
بعض خبر الآحاد لهذه القواعد والاعذار التى أشرنا اليها ونبهناك عليها
فاحذر أن تزل قدمك مع من زل أو يضل فهمك مع من ضل فانك اذا تخسر
أعمالك مع جملة من خسر وتذكر بالسوء والفضيحة مع من بهما ذكر
وتتعرض لامر لا طاقة لك بحمل ضرره وترتبك فى قفر مدلهم لا قدرة لك
على النجاة من خطره فبادر الى السلامة ما استطعت اليه سبيلا وكن ممن
سلك منها سبيل النجاة ودعا اليها بكرة وأصيلا وحفظ باطنه وظاهره عن ان
يخوض فى أحد من المسلمين بما يزن نقيرا أو فتيلا فان الله يخذلك خذلانا
مبينا ويهينك هوانا عظيما سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة
الله تبديلا وقد جهد كثيرون ممن تعرضوا السهام القطيعه وتحلوا
بالصفات القبيحة الفظيعه على أن يحطوا من مرتبة هذا الامام الاعظم
والحبر المقدم ويصرفوا قلوب أهل عصره ومن بعدهم عن محبته وتقليده
واتباعه واعتقاد عظمته وامامته فما قدروا على ذلك ولا يفيد كلامهم فيه
فى مسلك من المسالك ليس ذلك الا لان أمره أمر سماوى لا حيلة لاحد فى
رفعه ومن يرفعه الله تعالى ويعطيه من خزائنه الواسعة لا يقدر أحد على
خفضه ولا منعه جعلنا الله ممن قام بما للائمة من الحقوق ولم يتدنس بشئ
من القطيعة والعقوق وعرف لكل ذى حق حقه فأداه كما يجب وشملته عين
العناية كما يجب ولم يخف فى جنب نصرة مصابيح الدجى ونجوم السماء لومة
لائم حرم التوفيق ولا تفيهق محروم هوى به لتعصبه فى مكان سحيق ولا

غيظ ممقوت ضل به رأيه السخيف حتى حط عن مراتب أولى الانصاف والتشريف فضراعة اليك اللهم أن تجعلنا ممن قام بحقوق آبائه فى الدين لاسيما أكابر السلف الماضين الذين شهد لهم الصادق المصدوق بانهم من خير القرون المبرئين من كل وصمة وعيب على رغم أنف الحساد الذين رموهم بما هم منه بريئون وممن أثنى الله عليهم فى كتابه العزيز بالدعاء لكل عامل عليم بقوله عز قائلا (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) وان تحشرنا معهم فاننا نحبهم ومن أحب قوما حشر معهم وان تدخلنا فى زمرتهم وتجعلنا فى جملة خدمتهم وتعيد علينا من صالح معاملاتهم وأحوالهم الباهره وكراماتهم الظاهرة المتكاثره حتى نكون من جملة أتباعهم وجملة أشياعهم انك الجواد الكريم الرؤف الرحيم يا ربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك القديم ولك الشكر الكامل اذ أهلتنا للخضوع تحت اشارة أوليائك وجعلتنا من أهل ولائك وصل اللهم وسلم وبارك أفضل صلاة وأفضل سلام وأفضل بركة على أفضل الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد معلوماتك أبدا ومداد كلماتك سرمدا كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

قد كمل بعون الملك المنان طبع كتاب الخيرات الحسان فى مناقب الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة

المفتقر لعفو ربه القدير أحمد الباب الحلبى ذى العجز

والتقصير وذلك فى شهر صفر الخير سنة ١٣١١

هجريه على صاحبها أفضل الصلاة

وأزكى التحيه آمين

فلم يكد سعـ
يسلمه الى مرجان
مآب وانه ينتظر
ابكاه فتمثل بقول
هجم ا

فتعجب مر جـ
— من هذا ا
سفره الى هذا الـ
— انه يامرجـ
الوحيد في انصالي
— متعك الله
علينا جميعاً بدوام
يدي سيدتك وبنـ
ثم قال
بشيوخ ا

Ibn Hajar al-Haythami
VETVS NOVVM TESTAMENTVM
DEI SVB NVMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY
(NEC)
BP80
.A28
I264
1893